مجلة العلوم التربوية والدراسات الإنسانية
Humanities and Educational Sciences Journal

ISSN: 2709-0302 (online)
ISSN: 2617-5908 (print)

أسباب النصر من خلال سورة الأنفال (دراسة تحليلية)(*)

د/ مبارك إبراهيم التجاني
الأستاذ المشارك في قسم الدراسات الإسلامية
كلية القرآن الكريم - جامعة القرآن الكريم
والعلوم الإسلامية، أم درمان - السودان
Dmubarak90@gmail.com

*) تاريخ تسليم البحث 23/10/2023 تاريخ قبوله للنشر 26/12/2023
*) موقع المجلة: http://hesj.org/ojs/index.php/hesj/index

أسباب النصر من خلال سورة الأنفال (دراسة تحليلية)

د/ مبارك إبراهيم التجاني
الأستاذ المشارك في قسم الدراسات الإسلامية
كلية القرآن الكريم - جامعة القرآن الكريم
والعلوم الإسلامية، أم درمان – السودان

الملخص

تهدف هذه الدراسة إلى بيان أسباب النصر المعنوية والحسية والأسباب التي تجمع بينهما كما صورتها سورة الأنفال، وقد استعمل الباحث المنهج الاستقرائي والوصفي والتحليلي، وقد خرج بجملة من النتائج والتوصيات، ومن أهم النتائج: إن سورة الأنفال من السور التي حوت على آيات أسباب النصر– للنصر، ويمكن تقسيمها إلى ثلاثة أقسام رئيسة هي: الأسباب المعنوية والحسية، والأسباب المعنوية، والأسباب المادية الحسية، الأسباب المعنوية هي كل ما يتعلق بالمسلم داخليًا من الإيمان والذكر والصبر والاتحاد وما يشعر به من معية الله عز وجل له في جميع أحواله، والأسباب المادية الحسية هي كل الأشياء الخارجية التي يستعين بها المسلم في المعركة من سلاح وعدة وجيش، ومن التوصيات: دراسة عوامل النصر والهزيمة في سورتي البقرة وآل عمران، وكذلك دراسة أثر الإيمان في تحقيق النصر في سور القرآن الكريم باعتباره أهم عوامل النصر على الإطلاق.

الكلمات المفتاحية: أسباب، النصر، سورة الأنفال، دراسة تحليلية.

The reasons for victory through Surat Al-Anfal (analytical study)

Dr. Mubarak Ibrahim Al Tigani Hasaballah
Associate Professor, Department of Islamic Studies
Faculty of the Holy Quran - University of the Holy Quran
and Islamic Sciences, Omdurman – Sudan

Abstract

This study aims to illustrate the causes of moral and sensory victory and the factors that combine them, as described in Surah Al-Anfal. The researcher used an inductive, descriptive, and analytical approach and arrived at several findings and recommendations. Among the key findings is that Surah Al-Anfal contains verses that detail the causes of victory, which can be divided into three main categories: moral and sensory factors, moral factors, and sensory material factors. Moral factors encompass everything related to the inner beliefs, remembrance, patience, unity, and the sense of God's presence that a Muslim experiences in all circumstances. Sensory material factors include all external items and tools a Muslim utilizes in battle, such as weapons and equipment. One of the recommendations is to study the factors of victory and defeat in Surahs Al-Baqara and Aal-E-Imran and explore the impact of faith in achieving victory in the Quran, considering it one of the most significant factors for triumph.

Key words: Causes; Victory; Surah Al-Anfal; Analytical study.

مقدمة الدراسة:

الحمد لله حمدًا كثيرًا طيبًا مباركًا فيه، ملئ السماوات والأرض وملئ ما بينهما كما ينبغي لجلال وجهه عظيم سلطانه، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، السراج المنير، الهادي إلى سبيل ربه بالحجة والبرهان، سيدنا محمد بن عبد الله الصادق المصدوق، عليه أفضل الصلاة وأتم التسليم. أما بعد:

فإن الإنسان في هذه الحياة يكون بين أمرين إما داعيًا للحق، أو داعيًا للضلال وبين الحق والضلال حرب دائمة مستمرة إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها، وقد كانت هذا الصراع بين الحق والباطل من السنن الإلهية وهي سنة التدافع، والتي ذكرها الله عز وجل في محكم آياته في قوله عز وجل:﴿وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّفَسَدَتِ ٱلْأَرْضُ﴾[البقرة: ٢٥١]، وقال عز وجل: ﴿وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّهُدِّمَتْ صَوَٰمِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَٰتٌ وَمَسَٰجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا ٱسْمُ ٱللَّهِ كَثِيرًا﴾[الحج: ٤٠].

وينتهي هذا الصراع إلى انتصار أحد الفريقين في كل جولة من جولاته، وللنصر أسباب ذكرها الله عز وجل في كتابه تنبيهًا لعباده بضرورة التمسك بها، والإتيان بضوابطها على الوجه الذي يريده الله ويحقق لهم النصر والفوز على أعدائهم.

وقد يبطئ النصر لخلل في عدم الالتزام بأسبابه وقواعده وضوابطه، ونتيجة لذلك قد يشعر المسلم بالهزيمة من الداخل قبل الشعور بها في أرض الواقع.

ونتيجة لما تمر به اليوم الأمة الإسلامية من الاقتتال بين أبناء الشعب الواحد، والأمة الواحدة، بل والأسرة الواحدة، جاءت فكرة هذه الدراسة، وذلك للبحث عن أسباب النصر من خلال سورة الأنفال، ومن يتمعن في قراءة هذه السورة العظيمة يجد الجواب الشافي لتحقيق النصر، كما بينت السورة أسباب الهزيمة، وقد جعلت هذه الدراسة تحت عنوان: (**أسباب النصر من خلال سورة الأنفال**: **دراسة تحليلية**).

مشكلة الدراسة:

ستجيب الدراسة على السؤال الرئيس الآتي:

ما هي أسباب النصر الواردة في سورة الأنفال؟

ويتفرع عن السؤال الرئيس ثلاثة أسئلة فرعية:

- ما أسباب النصر المعنوية والحسية الواردة في سورة الأنفال؟
- ما أسباب النصر المعنوية الواردة في سورة الأنفال؟
- ما أسباب النصر الحسية الواردة في سورة الأنفال؟

أهداف الدراسة:

تهدف الدراسة إلى:

١- التعرف على منهج القرآن الكريم في بيان أسباب النصر المعنوية والحسية من خلال سورة الأنفال.

٢- بيان سنة الله عز وجل في خلقه بما هو متعلق بالنصر.

٣- المساهمة في القاء الضوء على القضية الكبرى التي تشغل أبناء الأمة الإسلامية، والتي تتمثل في القدرة على مواجهة التحديات العالمية المعادية، وإحراز النصر عليها ليعود للمسلمين مجدهم، وتأصيل موقف الإسلام ومنهجه الكفيل بتخطي المحنة وتجاوز العقبة حتى تعود الأمة خير أمة أخرجت للناس.

٤- تحديد ميزان النصر بالنسبة للأمة الإسلامية من خلال كتاب الله عز وجل ليتسنى بذلك معرفة جوانب الخلل والضعف التي تعانيها الأمة الإسلامية ليتم إصلاحها وتصحيح خطر الانحراف الذي أدى بنا إلى الوقوع في الهزيمة والاستزادة من أسباب القوة والنصر التي بينتها سورة الأنفال.

٥- إبراز قيمة ما يملكه المسلمون من الأسباب الشرعية التي تساهم في ترجيح كفتهم على عدوهم، وتساهم في نزول نصر الله تعالى وتأييده لهم.

أهمية الدراسة:

إن أهمية هذه الدراسة تظهر من خلال المشاركة في بيان المنهج القرآني للنصر من خلال سورة الأنفال في الوقت الذي كانت الهزيمة فيه ليس بالصورة الحالية وإسهام الدراسة في بيان أسباب النصر للأمة وهي تعيش حروبًا طاحنة مع عدوها في مختلف الميادين والساحات.

حدود الدراسة:

دراسة أسباب النصر كما وردت في سورة الأنفال ومذاهب المفسرين في تناول هذه الآيات.

الدراسات السابقة:

عثر الباحث على مؤلف يحمل نفس العنوان، وكذلك بعض المقالات على شبكات التواصل الاجتماعي، وهي:

١- أسباب النصر في سورة الأنفال، عبد الحميد طهماز ضمن موسوعة سور القرآن الكريم، وقد تعرض الكاتب فيه لبيان أسباب النصر المباشرة وغير المباشرة من خلال سورة الأنفال.

٢- أسباب النصر والهزيمة من خلال سورة الأنفال، للشيخ عبد المجيد الزنداني، مقال منشور في ملتقى الخطباء على الشبكة العنكبوتية تاريخ النشر (١١- ١٠- ٢٠٢٢م).

٣- سورة الأنفال وقوانين النصر في غزوة بدر، سهى عرابي، مقال منشور في موقع حصاد على الشبكة العنكبوتية تاريخ النشر (٢٠١٧م).

موقع هذه الدراسة من الدراسات السابقة:

تأتي هذه الدراسة للموضوع في إطار الدراسة العلمية؛ من خلال إعداد بحث محكم يخضع لمعايير البحث العلمي، ومنهجه، كما أنه يختلف من ناحية التناول والتقسيم.

منهج الدراسة:

اتبع الباحث المنهج الاستقرائي والوصفي والتحليلي في دراسة الموضوع، وتوثيق الدراسة من المصادر الأصلية مع مراعاة الطريقة العلمية في التوثيق، كما التزم الباحث بحدود الدراسة الموضوعية وبالهيكل الأساسي للدراسة.

هيكل الدراسة:

تتكون من مقدمة وتمهيد وثلاثة مباحث تحتها مطالب، وخاتمة.

المقدمة وفيها:

مشكلة الدراسة، وأهدافه، وأهميته، وحدوده، والدراسات السابقة، ومنهج الدراسة، وتقسيماته.

التمهيد، وفيه:

التعريف بمفردات عنوان الدراسة.

المبحث الأول: **الأسباب المعنوية والحسية للنصر الواردة في سورة الأنفال**، وفيه خمسة مطالب:

المطلب الأول: الثبات.

المطلب الثاني: الذكر.

المطلب الثالث: الطاعة لله ولرسوله.

المطلب الرابع: الوحدة والاعتصام.

المطلب الخامس: الصبر.

المبحث الثاني: **الأسباب المعنوية الواردة في سورة الأنفال**، وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: الإيمان.

المطلب الثاني: عدم العجب والرياء.

المطلب الثالث: الإخلاص.

المبحث الثالث: الأسباب الحسية الواردة في سورة الأنفال، وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: الإعداد.

المطلب الثاني: الإنفاق.

المطلب الثالث: الخروج نصرة لدين الله.

الخاتمة، وفيها: النتائج والتوصيات.

التمهيد، وفيه:

التعريف بمفردات عنوان الدراسة:

تعريف الأسباب في اللغة والاصطلاح:

الأسباب في اللغة: جمع سبب، وهو الحبل، أو الخيط، وبيني وبين فلان سبب، أي حبل يوصل[١]، هو كل ما يتوصل به إلى غيره فهو سبب، ومنه قوله تعالى: ﴿وَءَاتَيْنَٰهُ مِن كُلِّ شَيْءٍ سَبَبًا﴾[الكهف: ٨٤][٢]، أي: علمًا يتسبب به إلى ما يريد، ويقال: جعلت فلانًا سببًا إلى فلان في حاجتي، أي: وصلة وذريعة[٣]، وأسباب السماء: مراقيها أو نواحيها أو أبوابها، قال تعالى: ﴿لَّعَلِّيٓ أَبْلُغُ ٱلْأَسْبَٰبَ﴾[غافر: ٣٦][٤].

وأسباب الحكم في القضاء ما تسوقه المحكمة من أدلّة واقعيّة وحجج قانونيّة لحكمها[٥].

السبب في الاصطلاح: السبب يختلف تعريفه من مجال إلى مجال آخر؛ فالسبب في الاصطلاح الأصولي هو: "ما يكون طريقًا إلى الحكم من غير تأثير"[٦]، أي: من غير أن يضاف إليه وجوب ولا وجود، ولا يعقل فيه معاني العلل[٧].

وعرفه قال الجرجاني (ت: ٨١٦هـ) بقوله: "عبارة عما يكون طريقًا للوصول إلى الحكم غير مؤثر فيه"[٨]، أو هو وصف ظاهر منضبط دل الدليل الشرعي على كونه معرفًا لثبوت حكم شرعي[٩].

والسبب في القانون: هو تبرير لوجود الإرادة وركنُ ضروري لحمايتها وحماية المجتمع[١٠].

والمراد بالأسباب في هذه الدراسة: كل ما له دور في إحداث النصر سواء كان حسيًا أو معنويًا، وسواء كان سببًا مباشرًا أم غير مباشر.

تعريف النصر في اللغة والاصطلاح:

النصر في اللغة: قال ابن فارس (ت: ٣٩٥هـ): "النون والصاد والراء أصل صحيح يدل على إتيان خير وإيتائه، ونصر الله المسلمين: آتاهم الظفر على عدوهم، ينصرهم نصرًا، وانتصر: انتقم، وهو منه، وأما الإتيان فالعرب تقول: نصر تبلد كذا، إذا أتيته"[١١]

---

(١) جمهرة اللغة. ابن دريد الأزدي. (١٠٠٠/٢).

(٢) تهذيب اللغة. الأزهري. (٢٢٠/١٢)، ومختار الصحاح. الرازي. (ص: ١٤٠)، والمعجم الوسيط. إبراهيم مصطفى، وآخرون. (٤١١/١).

(٣) المعجم الاشتقاقي المؤصل لألفاظ القرآن الكريم. محمد حسن جبل. (٩٤٢/٢).

(٤) القاموس المحيط. الفيروز آبادى. (٩٦/١).

(٥) معجم اللغة العربية المعاصرة. أحمد مختار عمر. (١٠٢٢/٢).

(٦) شرح التلويح على التوضيح. التفتازاني. (٢٧٤/٢).

(٧) خلاصة الأفكار شرح مختصر المنار. ابن قطلوبغا. (ص: ١٧٤).

(٨) التعريفات. (ص: ١١٧).

(٩) الإحكام في أصول الأحكام. الآمدي. (١٣٠/١)، وشرح مختصر الروضة. الطوفي. (٤٣٣/١).

(١٠) نظرية السبب في القانون المدني. محمد علي عبده. (ص: ١٤).

(١١) مقاييس اللغة. ابن فارس. (٤٣٥/٥).

وقال الفيروز آبادي (ت: ٨١٧هـ): "نصر المظلوم نصرًا ونصورًا: أعانه"[١]، و"النَّصر: خلاف الخِذلان"[٢].

النصر في الاصطلاح: لا يختلف المعنى الاصطلاحي عن المعنى اللغوي فهو يدل على معنى التأييد والانتقام والظفر والفتح، والنصر: هو التأييد الذي يكون به قهر الأعداء وغلبتهم والاستعلاء عليهم"[٣].

التعريف بسورة الأنفال:

سورة الأنفال مدنية، وعدد "آياتها سبعون وست آيات كلماتها ألف كلمة، وستمائة كلمة، وإحدى وثلاثون كلمة، حروفها خمسة آلاف ومائتان، وأربعة وتسعون حرفًا، والله أعلم"[٤].

أغراض السورة:

- ابتدأت ببيان أحكام الأنفال وهي الغنائم وقسمتها ومصارفها.
- والأمر بتقوى الله في ذلك وغيره، والأمر بطاعة الله ورسوله، في أمر الغنائم وغيرها، وأمر المسلمين بإصلاح ذات بينهم، وأن ذلك من مقومات معنى الإيمان الكامل.
- وذكر الخروج إلى غزوة بدر وبخوفهم من قوة عددهم وما لقوا فيها من نصـــر وتأييد من الله ولطفه بهم، وامتنان الله عليهم بأن جعلهم أقوياء، ووعدهم بالنصر والهواية إن اتقوا بالثبات للعدو، والصبر.
- والأمر بالاستعداد لحرب الأعداء، والأمر باجتماع الكلمة والنهي عن التنازع، والأمر بأن يكون قصد النصرة للدين نصب أعينهم.
- ووصف السبب الذي أخرج المسلمين إلى بدر، وذكر مواقع الجيشين، وصفات ما جرى من القتال.
- وتذكير النبي صلى الله عليه وسلم بنعمة الله عليه إذ أنجاه من مكر المشركين به بمكة وخلصه من عنادهم، وأن مقامه بمكة كان أمانًا لأهلها فلما فارقهم فقد حق عليهم عذاب الدنيا بما اقترفوا من الصد عن المسجد الحرام.
- ودعوة المشركين للانتهاء عن مناوأة الإسلام وإيذائهم بالقتال، والتحذير من المنافقين.
- وضرب المثل بالأمم الماضية التي عاندت رسل الله ولم يشكروا نعمة الله.
- وأحكام العهد بين المسلمين والكفار وما يترتب على نقضهم العهد، ومتى يحسن السلم، وأحكام الأسرى.
- وأحكام المسلمين الذين تخلفوا في مكة بعد الهجرة، وولايتهم وما يترتب على تلك الولاية"[٥].

---

(١) القاموس المحيط. (ص: ٤٨٢).

(٢) التعريفات الفقهية. البركتي. (ص: ٢٢٨).

(٣) فتح القدير. محمد بن علي الشوكاني. (٥/٦٢٤).

(٤) تفسير القرآن العظيم. ابن كثير القرشي البصري. تحقيق: سامي بن محمد السلامة، (٤/٥).

(٥) التحرير والتنوير. ابن عاشور. (٩/٢٤٧).

المبحث الأول: الأسباب المعنوية والحسية للنصر الواردة في سورة الأنفال

تدور محاور هذا المبحث على الآيات الكريمة التالية من سورة الأنفال، قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا لَقِيتُمۡ فِئَةٗ فَٱثۡبُتُواْ وَٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرٗا لَّعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ٤٥ وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَا تَنَٰزَعُواْ فَتَفۡشَلُواْ وَتَذۡهَبَ رِيحُكُمۡۖ وَٱصۡبِرُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ٤٦ وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ خَرَجُواْ مِن دِيَٰرِهِم بَطَرٗا وَرِئَآءَ ٱلنَّاسِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۚ وَٱللَّهُ بِمَا يَعۡمَلُونَ مُحِيطٞ ٤٧ وَإِذۡ زَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ أَعۡمَٰلَهُمۡ وَقَالَ لَا غَالِبَ لَكُمُ ٱلۡيَوۡمَ مِنَ ٱلنَّاسِ وَإِنِّي جَارٞ لَّكُمۡۖ فَلَمَّا تَرَآءَتِ ٱلۡفِئَتَانِ نَكَصَ عَلَىٰ عَقِبَيۡهِ وَقَالَ إِنِّي بَرِيٓءٞ مِّنكُمۡ إِنِّيٓ أَرَىٰ مَا لَا تَرَوۡنَ إِنِّيٓ أَخَافُ ٱللَّهَۚ وَٱللَّهُ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ ﴾ [الأنفال: ٤٥ – ٨]

تعددت أسباب النصر التي يشترك فيها الجانب المعنوي والجانب الحسي في سورة الأنفال، ويمكن توضيحها في المطالب الآتية:

المطلب الأول: الثبات

دل على الثبات كسبب من أسباب النصر قوله تعالى: ﴿إِذۡ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى ٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ أَنِّي مَعَكُمۡ فَثَبِّتُواْ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْۚ سَأُلۡقِي فِي قُلُوبِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱلرُّعۡبَ فَٱضۡرِبُواْ فَوۡقَ ٱلۡأَعۡنَاقِ وَٱضۡرِبُواْ مِنۡهُمۡ كُلَّ بَنَانٖ ﴾ [الأنفال: ١٢] فالثبات ثبات في القلب واستقرار في ميدان المعركة، وقال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا لَقِيتُمۡ فِئَةٗ فَٱثۡبُتُواْ وَٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرٗا لَّعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ﴾ [الأنفال: ٤٥].

الثبات في اللغة: مصدر "ثبت يثبت، تثبيتًا، فهو مثبت، والمفعول مثبت، ثبت الشيء: جعله راسخًا مستقرًا، دعمه وقواه، مكنه"(١)، والثبات: "دوام الشيء، يقال: ثبت ثباتًا وثبوتا، ورجل ثبت وثبيت"(٢).

والثبات المقصود بالآية الكريمة هو الاستقرار في مكان المعركة وقد فسر بهذا المعنى أئمة المفسرين؛ قال ابن جرير الطبري، (ت: ٣١٠هـ): "إذا لقيتم جماعة من أهل الكفر بالله للحرب والقتال، فاثبتوا لقتالهم، ولا تنهزموا عنهم، ولا تولوهم الأدبار هاربين، إلا متحرفًا لقتال أو متحيزًا إلى فئة منكم"(٣).

والمراد بالفئة: "جماعة من الكفار، فاثبتوا لهم، وقاتلوهم مع نبيكم"(٤).

وقال عبد الكريم القشيري، (ت: ٤٦٥هـ): "أراد إذا لقيتم فئة من المشركين فاثبتوا، والثبات إنما يكون بقوة القلب وشدة اليقين، ولا يكون ذلك إلا لنفاذ البصيرة، والتحقق بالله، وشهود الحادثات كلها منه، فعند ذلك يستسلم لله، ويرضى بحكمه، ويتوقع منه حسن الإعانة"(٥).

---

(١) معجم اللغة العربية المعاصرة. أحمد مختار عمر. (٣٠١/١).
(٢) مقاييس اللغة. (٣٩٩/١).
(٣) جامع البيان عن تأويل آيات القرآن. تحقيق: عبد الله التركي، (٢١٣/١١).
(٤) بحر العلوم. (٢٤/٢).
(٥) لطائف الإشارات. (٦٢٨/١).

وقال وهبة الزحيلي، (ت: ١٤٣٦هـ): "هذه طائفة من الإرشادات والوصايا الإلهية تعد من ركائز قواعد القتال وأسسه الضرورية النابعة أصالة من وعاء الإيمان، لذا افتتحت بخطاب المؤمنين المصدقين بالله ورسوله، حتى وإن كانوا قلائل ضعفاء، والإيمان يمنح القوة ويرفع المعنويات، أما الكفر فشأن أهله الجبن وضعف المعنويات، حتى وإن انتصروا أحيانًا، وأول هذه القواعد الحربية: الثبات أمام الأعداء، فإذا حاربتم أيها المؤمنون أعداءكم والتقيتم معهم في ميدان القتال، فالواجب عليكم أن تثبتوا في قتالهم، وتصمدوا للقائهم، وإياكم والفرار من الزحف، فالثبات فضيلة وركيزة أساسية، والفرار كبيرة موجبة للعقاب، ثبت في الصحيحين عن عبد الله بن أبي أوفى رضي الله عنه: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم انتظر في بعض أيامه التي لقي فيها العدو، حتى إذا مالت الشمس قام فيهم، فقال: «يا أيها الناس: لا تتمنوا لقاء العدو، واسألوا الله العافية، فإذا لقيتموهم فاصبروا، واعلموا أن الجنة تحت ظلال السيوف»"[١]،[٢].

وقد جاء الأمر الإلهي بالثبات والاستقرار في المكان لما له من أثر كبير في الانتصار على الأعداء، بل زاد الأمر تأكيدًا على أهمية الثبات في قوله عز وجل: ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَهَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمۡوَٰلِهِمۡ وَأَنفُسِهِمۡ أَعۡظَمُ دَرَجَةً عِندَ ٱللَّهِۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡفَآئِزُونَ ٢٠ يُبَشِّرُهُمۡ رَبُّهُم بِرَحۡمَةٖ مِّنۡهُ وَرِضۡوَٰنٖ وَجَنَّٰتٖ لَّهُمۡ فِيهَا نَعِيمٞ مُّقِيمٌ ﴾ [التوبة: ٢٠ - ٢١]، فهذه الآيات الكريمة بينت أجر الثبات في المعركة، وأن المسلمين إذا حققوا الإيمان والجهاد في سبيل الله تعالى كان أجرهم أعظم الدرجات في الجنة؛ بل أن الله عز وجل رتب عقوبة على الفرار من المعركة، وقال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا لَقِيتُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ زَحۡفٗا فَلَا تُوَلُّوهُمُ ٱلۡأَدۡبَارَ ١٥ وَمَن يُوَلِّهِمۡ يَوۡمَئِذٖ دُبُرَهُۥٓ إِلَّا مُتَحَرِّفٗا لِّقِتَالٍ أَوۡ مُتَحَيِّزًا إِلَىٰ فِئَةٖ فَقَدۡ بَآءَ بِغَضَبٖ مِّنَ ٱللَّهِ وَمَأۡوَىٰهُ جَهَنَّمُۖ وَبِئۡسَ ٱلۡمَصِيرُ ﴾[الأنفال: ١٥ - ١٦]، قال أبو إسحاق الزجاج، (ت: ٣١١هـ): "التولي في الزحف من أعظم الكبائر"[٣].

واختلف المفسرون في هذه الآية؛ فقال الحسن البصري (ت:١١٠هـ)، وغيره من مفسري التابعين: "هذا الوعيد خاص فيمن كان ينهزم يوم بدر، وهو قول أبي سعيد الخدري رضي الله عنه (ت: ٧٤هـ)، وقال: إنما كان ذلك يوم بدر خاصة، لم يكن لهم أن ينحازوا لأنه لم يكن يومئذ في الأرض مسلم ولا للمسلمين فِئَة، فأما بعد ذلك فإن المسلمين بعضهم لبعض فئة، وقال عبد الله بن عباس رضي الله عنهما، (ت: ٦٨هـ): الآية عامة في كل من انهزم عن العدو"[٤].

وقال أبو عبد الله القرطبي (ت: ٦٧١): "(فاثبتوا): أمر بالثبات عند قتال الكفار، كما في الآية قبلها النهي عن الفرار عنهم، فالتقى الأمر والنهي على سواء، وهذا تأكيد على الوقوف للعدو والتجلد له"[٥].

---

(١) صحيح البخاري. كتاب الجهاد والسير، باب كان النبي صلى الله عليه وسلم إذا لم يقاتل أول النهار أخر القتال حتى تزول الشمس، برقم (٢٩٦٦)، صحيح مسلم. كتاب الجهاد والسير، باب كراهة تمني لقاء العدو، والأمر بالصبر عند اللقاء برقم (١٧٤٢).
(٢) التفسير الوسيط. (٨٠٧/١).
(٣) معاني القرآن وإعرابه. (٤٨١/١).
(٤) التفسير البسيط. الواحدي. (٦٤/١٠).
(٥) الجامع لأحكام القرآن. (٢٣/٨).

والثبات يشمل كل المواطن بالنسبة للمسلم، سواءً كان الثبات في ساحة المعركة الحقيقة أو في ساحة المعارك الفكرية التي انتشرت وظهرت في هذا العصر بشكل أوسع من قبل، فالثبات على كلمة الحق يوازي الثبات في ساحة القتال أمام الأعداء، والله أعلم.

المطلب الثاني: ذكر الله عز وجل

الذكر في اللغة: الذِّكر – بكسر الذال المشددة –: الحفظ للشيء، كالتذكار، الشيء الذي يجري على اللسان، وتارة يقصد به(1).

قال الراغب في المفردات: "الذكر: تارة يقال ويراد به: هيئة للنفس بها يمكن للإنسان أن يحفظ ما يقتنيه من المعرفة، وهو كالحفظ إلا أن الحفظ يقال اعتبارًا باحترازه، والذكر يقال اعتبارًا باستحضاره، وتارة يقال لحضور الشيء القلب أو القول، ولذلك قيل منهما ضربان: ذكر عن نسيان، وذكر لا عن نسيان، بل عن إدامة الحفظ"(2)، قال تعالى: ﴿ فَإِذَا قَضَيْتُم مَّنَاسِكَكُمْ فَاذْكُرُوا اللَّهَ كَذِكْرِكُمْ آبَاءَكُمْ أَوْ أَشَدَّ ذِكْرًا ﴾ [البقرة: ٢٠٠].

الذكر في الاصطلاح: ما تعبد الشارع بلفظ مما يتعلق بتعظيم الحق والثناء عليه ويطلق على كل مطلوب قولي، وقريب منه ما قيل الذكر شرعًا قول سيق لثناء أو دعاء وقد يستعمل أيضًا لكل قول يثاب قائله(3).

"فيستعمل الذكر بمعنى ذكر العبد لربه عز وجل، سواء بالإخبار المجرد عن ذاته أو صفاته أو أفعاله أو أحكامه أو بتلاوة كتابه أو بمسألته ودعائه أو بإنشاء الثناء عليه بتقديسه وتمجيده وتوحيده وحمده وشكره وتعظيمه"(4)، وكلما ذكر يكون بالقلب واللسان.

وقد جاء الأمر بالذكر –كسبب من أسباب النصر – بعد الأمر بالثبات في قوله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَاثْبُتُوا وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ [الأنفال: ٤٥].

وفي ذلك دلالة على أن الذكر أحد أسباب الثبات، أشار محمد متولي الشعراوي، (ت: ١٤١٨هـ) إلى ذلك فقال: "والله سبحانه وتعالى هو خالق النفس البشرية، وهو العليم بها حين تكون أمام قوة لم تحسب حسابها، وكيف تعاني النفس من كرب عظيم، خصوصًا إذا كان ذلك في ميدان القتال، ولذلك طلب من المؤمنين لأن يتذكروا دائمًا أنهم ليسوا وحدهم في المعركة، وأنه سبحانه وتعالى معهم، فليذكروا هذا كثيرًا ليوالي نصرهم على عدوهم؛ لأنهم إذا ما داوموا على ذكر الله تعالى فسيقوي هذا الذكر إيمانهم، ويجعل في قلوبهم الشجاعة اللازمة لتحقيق النصر".

---

(١) ينظر: المحكم والمحيط الأعظم. ابن سيده. (٦/٧٨٧)، لسان العرب. ابن منظور. (٤/٣٠٨)، القاموس المحيط. الفيروز آبادي. (ص: ٣٩٦)، تاج العروس. مرتضى الزبيدي. (١١/٣٧٧).

(٢) المفردات في غريب القرآن. الراغب الأصفهاني. (ص: ٣٢٨)، وينظر: التوقيف على مهمات التعاريف. عبد الرؤوف المناوي. (ص: ١٧١).

(٣) الفتوحات الربانية على الأذكار النووية. محمد بن علان الصديقي. (١/١٨).

(٤) الموسوعة الفقهية الكويتية. (٢١/٢٢٠).

وذِكْرُ الحق كلمة (كَثِيرًا) هنا يعني أن الإنسان قد يذكر الله عند اليأس فقط، فإن جاءت الحياة بعد ذلك بالرخاء فقد ينسى ذكر الله؛ لذلك يؤكد سبحانه وتعالى هنا أن يكون ذكر الله كثيرًا، ليوالي الله نصر المؤمن على عده"(١).

قال محمد رشيد رضا، (ت: ١٣٥٤هـ): "وإذا كنا مأمورين بالذكر على كل حال نكون عليها في الحرب كما يعطيه السياق، فأجدر بنا أن نؤمر بذلك في كل حال من أحوال السلم كما يعطيه الإطلاق على أن المؤمن في حرب دائمة وجهاد مستمر، تارة يجاهد الأعداء، وتارة يجاهد الأهواء، ولذلك وصف الله المؤمنين العقلاء بقوله: ﴿ ٱلَّذِينَ يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَـٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ ﴾[آل عمران: ١٩١]، وأمرهم بكثرة الذكر في عدة آيات، وذكر الله أعوان ما يعين على تربية النفس وإن جهل ذلك الغافلون"(٢).

قال محمد بن علي الشوكاني، (ت: ١٢٥٠هـ): "(واذكروا الله) أي: اذكروا الله عند جزع قلوبكم، فإن ذكره يعين على الثبات في الشدائد، وقيل المعنى: اثبتوا بقلوبكم، واذكروا بألسنتكم، فإن القلب قد يسكن عند اللقاء، ويضطرب اللسان، فأمرهم بالذكر حتى يجتمع ثبات القلب واللسان، قيل: وينبغي أن يكون الذكر في هذه الحالة بما قاله أصحاب طالوت:﴿ وَلَمَّا بَرَزُواْ لِجَالُوتَ وَجُنُودِهِۦ قَالُواْ رَبَّنَآ أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَـٰفِرِينَ ﴾[البقرة: ٢٥٠]، وفي الآية دليل على مشروعية الذكر في جميع الأحوال، حتى في هذه الحالة التي ترجف فيها القلوب، وتزيغ عندها البصائر"(٣).

وذكر أبو عبد الله القرطبي الاختلاف في معنى الذكر في الآية، فقال: "للعلماء في هذا الذكر ثلاثة أقوال:

القول الأول: اذكروا الله عند جزع قلوبكم، فإن ذكره يعين على الثبات في الشدائد.

القول الثاني: اثبتوا بقلوبكم، واذكروه بألسنتكم، فإن القلب لا يسكن عند اللقاء ويضطرب اللسان، فأمر بالذكر حتى يثبت القلب على اليقين، ويثبت اللسان على الذكر، ويقول ما قاله أصحاب طالوت: ﴿ وَلَمَّا بَرَزُواْ لِجَالُوتَ وَجُنُودِهِۦ قَالُواْ رَبَّنَآ أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَـٰفِرِينَ ﴾، وهذه الحالة لا تكون إلا عن قوة المعرفة، واتقاد البصيرة، وهي الشجاعة المحمودة في الناس.

القول الثالث: اذكروا ما عندكم من وعد الله لكم في ابتياعه أنفسكم ومثابته لكم، قلت: والأظهر أنه ذكر اللسان الموافق للجنان"(٤).

ويرى الباحث أن الذكر والمداومة عليه من أشد ما يثبت المؤمن على خوض تجارب الحياة المختلفة، وإذا كان ذكر الله عز وجل هو الباعث على الاطمئنان في حال اليسر والرخاء؛ فإنه كذلك الباعث على الثبات في حال العسر والحرب.

(١) تفسير الشعراوي – الخواطر. (٤٧٢٢/٨).
(٢) تفسير القرآن الحكيم (المنار). (٣١٢/٥).
(٣) فتح القدير. (٣٠٩/٢).
(٤) الجامع لأحكام القرآن. (٢٣/٨).

ذكر ذلك أبو حيان الأندلسي، (ت: ٧٤٥هـ) عند تفسير الآية الكريمة فقال: "وأمرهم بذكره تعالى كثيرًا في هذا الموطن العظيم من مصابرة العدو والتلاحم بالرماح وبالسيوف، وهي حالة يقع فيها الذهول عن كل شيء فأمروا بذكر الله إذ هو تعالى الذي يفزع إليه عند الشدائد ويستأنس بذكره ويستنصر بدعائه ومن كان كثير التعلق بالله ذكره في كل موطن حتى في المواضع التي يذهل فيها عن كل شيء ويغيب فيها الحس ألا بذكر الله تطمئن القلوب"(١).

المطلب الثالث: طاعة الله تعالى ورسوله صلى الله عليه وسلم

طاعة بالقلب بتطهيره من الغل والبغضاء والحقد والحسد والعجب والغرور والكبرياء وطاعة بالجوارح.

قال تعالى: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَنفَالِ قُلِ الْأَنفَالُ لِلَّهِ وَالرَّسُولِ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ [الأنفال: ١].

وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَوَلَّوْا عَنْهُ وَأَنتُمْ تَسْمَعُونَ﴾[الأنفال: ٢٠].

وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ وَأَنَّهُ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾[الأنفال: ٢٤].

وقال تعالى:﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَاصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾[الأنفال: ٤٦].

الطاعة هي برهان العبودية والامتثال للأمر، وهي سر الفلاح والنجاح والظفر، والأمر بالطاعة لله عز وجل ولرسوله هو الأمر الثالث الذي ورد في قوله عز وجل:﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾ في الآيات السابقة، قال الشوكاني: "ثم أمرهم بطاعة الله فيما يأمرهم به، وطاعة رسوله فيما يرشدهم إليه"(٢).

وقال ابن جرير الطبري، (ت: ٣١٠هـ): "يقول تعالى ذكره للمؤمنين به: أطيعوا، أيها المؤمنون، ربكم ورسوله فيما أمركم به ونهاكم عنه، ولا تخالفوهما في شيء"(٣).

وقال أبو حفص النسفي، (ت: ٥٣٧هـ): "﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾ أي: في التآلف على نصرة الدين، وقيل: ﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ﴾ في الأمر بالقتال ﴿وَرَسُولَهُ﴾ فيما يأمركم به من حالة الالتقاء من تقدم أو تأخر أو كف أو إقدام، أو نحو هذا مما يوجبه تدبير قادة الجيوش"(٤).

وذكر الفخر الرازي، (ت: ٦٠٦هـ) أن: "هذه الآية توجب الثبات في الجملة، والمراد من الثبات الجد في المحاربة، وآية التحرف والتحيز لا تقدح في حصول الثبات في المحاربة بل كان الثبات في هذا المقصود، لا يحصل إلا

(١) البحر المحيط في التفسير. (٥/٣٣١).
(٢) فتح القدير. (٢/٣٥٩).
(٣) جامع البيان في تأويل القرآن. (١١/٢١٤).
(٤) التيسير في التفسير. (٧/٢١٨).

بذلك التحرف والتحيز، ثم قال تعالى مؤكدًا لذلك: ﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾ في سائر ما يأمر به، لأن الجهاد لا ينفع إلا مع التمسك بسائر الطاعات"(١).

وقال ابن كثير القرشي البصري، (ت: ٧٧٤هـ): "فأمر تعالى بالثبات عند قتال الأعداء والصبر على مبارزتهم، فلا يفروا ولا ينكلوا ولا يجبنوا، وأن يذكروا الله في تلك الحال ولا ينسوه بل يستعينوا به ويتكلوا عليه، ويسألوه النصر على أعدائهم، وأن يطيعوا الله ورسوله في حالهم ذلك، فما أمرهم الله تعالى به ائتمروا، وما نهاهم عنه انزجروا"(٢).

وقال وهبة الزحيلي مبينًا قواعد النصر: "والقاعدة الثالثة: طاعة الله والرسول في كل ما أمر به أو نهى عنه وهذا يستتبع، طاعة القائد لأن الطاعة من أسباب انتزاع النصر في القتال وغيره، فهي وسيلة الانضباط، وتوفير النظام، وقمع الفوضى، وتوقيت الأحداث بحسب ما يناسبها، وإن من أهم قواعد الحرب في العصر الحاضر طاعة القائد، والمعروف لدى العسكريين: (نفذ ثم اعترض)"(٣).

فالمؤمن مأمور بدوام الطاعة لله ولرسوله عليه الصلاة والسلام في كل أحواله، وإنما خصصت الطاعة في هذه الآية الكريمة في موقع الحرب؛ لأن عدم الطاعة قد يؤدي إلى الهزيمة، وهو ما حدث في غزوة أحد عندما استعجل الصحابة رضوان الله عليهم بالنزول من الجبل، فهزم المسلمين بسبب ذلك، وكان درسًا قاسيًا عليهم.

المطلب الرابع: الوحدة والاعتصام

وحدة الاجسام والمواقف مبنية على وحدة القلوب قال صلى الله عليه وسلم "الأَرْوَاحُ جُنُودٌ مُجَنَّدَةٌ فَمَا تَعَارَفَ مِنْهَا ائْتَلَفَ وَمَا تَنَاكَرَ مِنْهَا اخْتَلَفَ"(٤).

إن اختلاف القلوب والتنازع والتباغض والتدابر ينزع الألفة، ويزرع بذور الانشقاق والانقسام، وتصدع الصف، ويضعف القوة فيحصل الفشل والهزيمة، قال تعالى: ﴿إِذْ يُرِيكَهُمُ اللَّهُ فِي مَنَامِكَ قَلِيلًا وَلَوْ أَرَاكَهُمْ كَثِيرًا لَفَشِلْتُمْ وَلَتَنَازَعْتُمْ فِي الْأَمْرِ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ سَلَّمَ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾ [الأنفال: ٤٣].

وقال تعالى: ﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَاصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ [الأنفال: ٤٦].

وقال تعالى: ﴿وَإِن يُرِيدُوا أَن يَخْدَعُوكَ فَإِنَّ حَسْبَكَ اللَّهُ هُوَ الَّذِي أَيَّدَكَ بِنَصْرِهِ وَبِالْمُؤْمِنِينَ (٦٢) وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مَّا أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ إِنَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [الأنفال: ٦٢ - ٦٣]، قال القرطبي: "قوله تعالى: (هو الذي أيدك بنصره) أي: قواك بنصره، يريد يوم بدر، (وبالمؤمنين) قال النعمان بن بشير رضي الله عنه: نزلت في الأنصار، (وألف بين قلوبهم) أي: جمع بين قلوب الأوس والخزرج،

---

(١) مفاتيح الغيب (التفسير الكبير). (٤٨٩/١٥).

(٢) تفسير القرآن العظيم. (٧٢/٤).

(٣) التفسير الوسيط. (٨٠٧/١).

(٤) صحيح البخاري. كتاب أحاديث الأنبياء. باب الأرواح جنود مجندة برقم (٣١٥٨).

وكان تألف القلوب مع العصبية الشديدة في العرب من آيات النبي صلى الله عليه وسلم ومعجزاته، لأن أحدهم كان يلطم اللطمة فيقاتل عنها حتى يستقيدها، وكانوا أشد خلق الله حمية، فألف الله بالإيمان بينهم، حتى قاتل الرجل أباه وأخاه بسبب الدين، وقيل: أراد التأليف بين المهاجرين والأنصار، والمعنى متقارب"(1).

وقد نهى الله عز وجل المؤمنين في موضع القتال من التنازع، قال تعالى:﴿وَلَا تَنَٰزَعُواْ فَتَفۡشَلُواْ وَتَذۡهَبَ رِيحُكُمۡ ﴾ [الأنفال: ٤٦]، وعلل هذا النهي بحصول الفشل في حال عدم الطاعة له، وقد بين وهبة الزحيلي قواعد النصر، ومنها: "وحدة الصف والكلمة والهدف، وترك التنازع والاختلاف، فإن وحدة الصف قوة وصلابة، والتنازع والاختلاف مدعاة للجبن والفشل والخيبة والهزيمة وتضييع القوة، قال الله تعالى في آية أخرى:﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِهِۦ صَفّٗا كَأَنَّهُم بُنۡيَٰنٞ مَّرۡصُوصٞ ﴾[الصف: ٤]"(2).

قال ابن جرير الطبري: "ولا تختلفوا فتفرقوا وتختلف قلوبكم (فتفشلوا)، يقول: فتضعفوا وتجبنوا، (وتذهب ريحكم)"(3).

وقال أبو المظفر السمعاني، (ت: ٤٨٩هـ): "﴿وَلَا تَنَٰزَعُواْ فَتَفۡشَلُواْ﴾ معناه: ولا تختلفوا فتضعفوا ﴿وَتَذۡهَبَ رِيحُكُمۡ﴾ معناه: جدكم وجهدكم، وقال قتادة: الريح هاهنا: ريح النصرة، وقد صح عن النبي أنه قال: «نصرت بالصبا، وأهلكت عاد بالدبور»(4)، والقول الثالث، قول الأخفش الأوسط، (ت: ٢١١هـ)، وغيره: وتذهب ريحكم أي: دولتكم"(5).

"و(الريح) هاهنا كناية عن نفاذ الأمر وجريانه على المراد، تقول العرب: هبت ريح فلان إذا أقبل أمره على ما يريد، قال قتادة: هو ريح النصر لم يكن نصر قط إلا بريح يبعثها الله عز وجل تضرب وجوه العدو"(6).

وقال علي بن محمد، المعروف بالخازن، (ت: ٧٤١هـ): "﴿وَلَا تَنَٰزَعُواْ فَتَفۡشَلُواْ﴾ يعني: ولا تختلفوا فإن التنازع والاختلاف يوجب الفشل والضعف والجبن، وقوله تعالى: ﴿وَتَذۡهَبَ رِيحُكُمۡ﴾ يعني قوتكم، وقال مجاهد بن جبر المكي، (ت: ١٠٢هـ): نصرتكم، قال: وذهبت ريح أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم حين نازعوه يوم أحد، وقال إسماعيل السدي (ت:): جراءتكم وجِدكم، وقال مقاتل (ت: ١٥٠هـ): حدتكم وقال الأخفش: دولتكم"(7).

---

(١) الجامع لأحكام القرآن. (٤٢/٨).
(٢) التفسير الوسيط. (٨٠٨/١).
(٣) جامع البيان عن تأويل آيات القرآن. (٥٧٥/١٣).
(٤) صحيح البخاري. كتاب الاستسقاء، باب قول النبي صلى الله عليه وسلم نصرت بالصبا، برقم (١٠٣٥)، صحيح مسلم. كتاب صلاة الاستسقاء، باب في ريح الصبا والدبور، برقم (٩٠٠).
(٥) تفسير القرآن. (٢٧٠/٢).
(٦) معالم التنزيل في تفسير القرآن. الحسين بن مسعود البغوي. (٣٦٤/٣).
(٧) لباب التأويل في معاني التنزيل. (٣١٧/٢).

والتنازع والاختلاف من أسباب الهزيمة الحسية والمعنوية، وهو "مدعاة للفشل والخيبة، وذهاب القوة، فيتغلب عليكم العدو، وأصل الريح – في الآية – الهواء المتحرك ثم استعيرت للقوة والغلبة، لأنه لا يوجد في الأجسام ما هو أقوى منها"(١)، والتنازع عند لقاء فئة الكفار، يترتب عليه "الفشل وذهاب الريح التي هي الدولة(٢).

فجعل الله تعالى أحد عوامل النصر ألّا نتنازع، وجعل عاقبة التنازع المباشر الفشل، وذهاب الريح وضياع القوة والسلطان.

و"هذا النهي مساق للأمر بالثبات وكثرة الذكر، وبطاعة الله والرسول، ومتم للغرض منه، فإن الاختلاف والتنازع مدعاة الفشل، وهو الخيبة والنكول عن إمضاء الأمر، وأكثر أسبابه الضعف والجبن، ولذلك فسروه هنا بهما، وأصل التنازع كالمنازعة المشاركة في النزع، وهو الجذب، وأخذ الشيء بشدة أو لطف كنزع الروح من الجسد"(٣).

و"المسلم لا يقاتل وحده، وإنما هو واحد في جماعة المجاهدين الذين يقاتل معهم، ويستند إليهم، ويستندون إليه، ومن هنا كان من تمام البناء لتلك القوة التي يلقى بها المسلمون عدوّهم أن يكونوا صفًّا واحدًا، تمسك به مشاعر واحدة، فلا يتوزعهم الخلاف، ولا يمزق وحدة مشاعرهم النزاع، فذلك أمر إن وقع في جماعة أذهب ريحها، وحلّ عزيمتها، وأفسد تدبيرها، ومكنّ للعدو منها، مهما كانت القوة التي عليها أفرادها، والبلاء الذي يعطيه كل فرد منها في ميدان المعركة"(٤).

والأمر بالوحدة والاعتصام قد ثبت في غير موضع في القرآن الكريم، فقال تعالى: ﴿وَٱعۡتَصِمُواْ بِحَبۡلِ ٱللَّهِ جَمِيعٗا وَلَا تَفَرَّقُواْۚ وَٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ إِذۡ كُنتُمۡ أَعۡدَآءٗ فَأَلَّفَ بَيۡنَ قُلُوبِكُمۡ فَأَصۡبَحۡتُم بِنِعۡمَتِهِۦٓ إِخۡوَٰنٗا وَكُنتُمۡ عَلَىٰ شَفَا حُفۡرَةٖ مِّنَ ٱلنَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنۡهَاۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمۡ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمۡ تَهۡتَدُونَ﴾[آل عمران: ١٠٣]، فالحث على لزوم الجماعة والائتلاف بين المؤمنين من أساسيات هذا الدين الحنيف، ومن أولوياته؛ لما في ذلك من مصالح حاضرة من تماسك الأمة وتكاتفها ضد أعدائها؛ مما يؤدي إلى عزتها، كما أن من مقاصد الاجتماع عدم التفرق والتشتت؛ مما يؤدي إلى الضعف والاختلاف، وإن من عوامل نصر هذه الأمة هو الاجتماع، وعدم النزاع والافتراق، قال تعالى: ﴿وَلَا تَنَٰزَعُواْ فَتَفۡشَلُواْ وَتَذۡهَبَ رِيحُكُمۡ﴾، ومن هنا كان الرسول صلى الله عليه وسلم يؤسس لهذا الضابط لدى صحابته في دعوتهم، ويأمرهم بالاجتماع في جميع أمورهم"(٥).

المطلب الخامس: الصبر

النصر معلق بالصبر وتحمل المكاره، وفي لحظات الصبر تظهر قوة الإرادة في مواجهة شهوات النفس ورغباتها، وقوة الإرادة في مواجهة الأعداء، قال تعالى: ﴿وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَا تَنَٰزَعُواْ فَتَفۡشَلُواْ وَتَذۡهَبَ رِيحُكُمۡۖ وَٱصۡبِرُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ [الأنفال: ٤٦]

(١) ينظر: تفسير المراغي. (١٠/١٠).

(٢) اللباب في علوم الكتاب. السمين الحلبي. (٩/ ٥٣٥).

(٣) تفسير القرآن الحكيم (تفسير المنار). (٢٣/١٠).

(٤) التفسير القرآني للقرآن. عبد الكريم يونس الخطيب. (٦٢٨/٥).

(٥) منهج الصحابة في دعوة المشركين من غير أهل الكتاب. عبد العزيز بن محمد بن سعود الكبير. (ص: ١٢٨).

تحمل القلب وثباته وصموده ينعكس انعكاسًا مباشرًا على المواقف المادية المحسوسة، قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ حَرِّضِ ٱلْمُؤْمِنِينَ عَلَى ٱلْقِتَالِۚ إِن يَكُن مِّنكُمْ عِشْرُونَ صَٰبِرُونَ يَغْلِبُواْ مِاْئَتَيْنِۚ وَإِن يَكُن مِّنكُم مِّاْئَةٌ يَغْلِبُوٓاْ أَلْفًا مِّنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَفْقَهُونَ ﴿٦٥﴾ ٱلْـَٰٔنَ خَفَّفَ ٱللَّهُ عَنكُمْ وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمْ ضَعْفًاۚ فَإِن يَكُن مِّنكُم مِّاْئَةٌ صَابِرَةٌ يَغْلِبُواْ مِاْئَتَيْنِۚ وَإِن يَكُن مِّنكُمْ أَلْفٌ يَغْلِبُوٓاْ أَلْفَيْنِ بِإِذْنِ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴾[الأنفال: ٦٥ - ٦٦].

الصبر في اللغة: هو حبس النفس عن الجزع(١)، قال ابن فارس: "(صبر) الصاد والباء والراء أصول ثلاثة، الأول: الحبس، والثاني: أعالي الشيء، والثالث: جنس من الحجارة"(٢).

الصبر في الاصطلاح: قال الجرجاني:" الصبر: هو ترك الشكوى من ألم البلوى لغير الله لا إلى الله؛ لأن الله تعالى أثنى على أيوب صلى الله عليه وسلم بالصبر بقوله:﴿ وَخُذْ بِيَدِكَ ضِغْثًا فَٱضْرِب بِّهِۦ وَلَا تَحْنَثْۗ إِنَّا وَجَدْنَٰهُ صَابِرًاۚ نِّعْمَ ٱلْعَبْدُۖ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ ﴾[ص: ٤٤]، مع دعائه في رفع الضر عنه بقوله: ﴿ وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّي مَسَّنِيَ ٱلضُّرُّ وَأَنتَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴾ [الأنبياء: ٨٣]، فعلمنا أن العبد إذا دعا الله تعالى في كشف الضر عنه لا يقدح في صبره"(٣).

وقال ابن قيم الجوزية (ت: ٧٥١هـ): "فالصبر: حبس النفس عن الجزع والتسخط، وحبس اللسان عن الشكوى، وحبس الجوارح عن التشويش، وهو ثلاثة أنواع: صبر على طاعة الله، وصبر عن معصية الله، وصبر على امتحان الله"(٤).

والصّبر هو "قوّة خُلقيّة من قوى الإرادة، تُمكِّن الإنسان من ضبط نفسه لتحمّل المتاعب والمشاقّ والآلام، وضبطها عن الاندفاع بعوامل الضَّجر، والجَزَع، والسَّأم، والملَل، والعَجلة، والرُّعونة، والغَضَب، والطَّيْش، والخَوْف، والطَّمَع، والأهواء والشّهوات والغرائز"(٥).

والصبر من الأخلاق التي أمر الإسلام بالتحلي بها وقد ورد ذكرها في الكثير من المواضع في القرآن الكريم.

ومن هذه المواضع ما جاء في الآيات الكريمة السابقة، فقد جاء ذكرها بعد النهي عن التنازع والخلاف قال تعالى: ﴿وَٱصْبِرُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴾ [الأنفال: ٤٦]، قال الفخر الرازي: "والمقصود أن كمال أمر الجهاد مبني على الصبر، فأمرهم بالصبر، كما قال في آية أخرى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱصْبِرُواْ وَصَابِرُواْ وَرَابِطُواْ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ [آل عمران: ٢٠٠]، وبين أنه تعالى مع الصابرين، ولا شبهة أن المراد بهذه المعية النصرة والمعونة"(٦).

(١) الصحاح، الجوهري. (٢/٧٠٦).
(٢) مقاييس اللغة. (٣/ ٣٢٩).
(٣) التعريفات. (ص: ١٣١).
(٤) مدارج السالكين. (٢/١٥٥).
(٥) الأخلاق الإسلامية وأسسها. عبد الرحمن الميداني. (٢/٣٠٥).
(٦) مفاتيح الغيب. (١٥/٤٩٠).

وأكد القرطبي ضرورة الصبر، فقال: "أمر بالصبر، وهو محمود في كل المواطن وخاصة موطن الحرب، كما قال: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا لَقِيتُمۡ فِئَةٗ فَٱثۡبُتُواْ ﴾[الأنفال: ٤٥]"(١).

وذكر الشوكاني عظمة المعية في الآية فقال: "أمرهم بالصبر على شدائد الحرب، وأخبرهم بأنه مع الصابرين في كل أمر ينبغي الصبر فيه، ويا حبذا هذه المعية التي لا يُغلب من رزقها غالب، ولا يؤتى صاحبها من جهة من الجهات، وإن كانت كثيرة"(٢).

وأكد هذا المعنى محمد رشيد رضا:" واصبروا على ما تكرهون من شدة، وما تلاقون من بأس العدو واستعداده وكثرة عدده وغير ذلك إن الله مع الصابرين بالمعونة والتأييد، وربط الجأش والتثبيت، ومن كان الله معه فلا يغلبه شيء، فالله غالب على أمره، وهو القوي العزيز الذي لا يغالب"(٣).

ويرى الباحث أن الصبر ركيزة من ركائز الإسلام التي حرص الإسلام على الأمر بها في كثير من الآيات القرآنية، وحث عليها النبي صلى الله عليه وسلم في كثير من أحاديثه، فعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه مرفوعًا وموقوفًا، والموقوف أصح: «الصبر نصف الإيمان، واليقين الإيمان كله»(٤)، وإذا كان الأمر بالصبر في مواطن الرخاء فإنه من باب أشد طلبًا في مواطن الخوف والقلق، وإلى هذا المعنى أشار كثير من المفسرين.

المبحث الثاني: الأسباب المعنوية للنصر من خلال سورة الأنفال

تدور مطالب هذا المبحث حول بيان قوله تعالى: ﴿ إِن تَسۡتَفۡتِحُواْ فَقَدۡ جَآءَكُمُ ٱلۡفَتۡحُۖ وَإِن تَنتَهُواْ فَهُوَ خَيۡرٞ لَّكُمۡۖ وَإِن تَعُودُواْ نَعُدۡ وَلَن تُغۡنِيَ عَنكُمۡ فِئَتُكُمۡ شَيۡـٔٗا وَلَوۡ كَثُرَتۡ وَأَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴾ [الأنفال: ١٩]، وقوله تعالى: ﴿ وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ خَرَجُواْ مِن دِيَٰرِهِم بَطَرٗا وَرِئَآءَ ٱلنَّاسِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۚ وَٱللَّهُ بِمَا يَعۡمَلُونَ مُحِيطٞ ٤٧ وَإِذۡ زَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ أَعۡمَٰلَهُمۡ وَقَالَ لَا غَالِبَ لَكُمُ ٱلۡيَوۡمَ مِنَ ٱلنَّاسِ وَإِنِّي جَارٞ لَّكُمۡۖ فَلَمَّا تَرَآءَتِ ٱلۡفِئَتَانِ نَكَصَ عَلَىٰ عَقِبَيۡهِ وَقَالَ إِنِّي بَرِيٓءٞ مِّنكُمۡ إِنِّيٓ أَرَىٰ مَا لَا تَرَوۡنَ إِنِّيٓ أَخَافُ ٱللَّهَۚ وَٱللَّهُ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ ﴾ [الأنفال: ٤٧–٤٨].

المطلب الأول: الإيمان

الإيمان هو أعظم أسباب النصر المعنوية، قال الله سبحانه: ﴿ إِن تَسۡتَفۡتِحُواْ فَقَدۡ جَآءَكُمُ ٱلۡفَتۡحُۖ وَإِن تَنتَهُواْ فَهُوَ خَيۡرٞ لَّكُمۡۖ وَإِن تَعُودُواْ نَعُدۡ وَلَن تُغۡنِيَ عَنكُمۡ فِئَتُكُمۡ شَيۡـٔٗا وَلَوۡ كَثُرَتۡ وَأَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴾ [الأنفال: ١٩]، والمعية في الآية معية: "النصر والتأييد"(٥).

---

(١) الجامع لأحكام القرآن. (٨/ ٢٥).

(٢) فتح القدير. (٢/٣٦٠).

(٣) تفسير القرآن الحكيم (تفسير المنار). (١٠/٢٣).

(٤) أخرجه البيهقي في الأدب. في فضل الصبر وانتظار الفرج والرجوع إلى الله عز وجل في كشف الضر، (٧٥٧).

(٥) تفسير القرآن الكريم: سورة النساء. (٢/١٨٩، ١٩٠).

"ونبه كتاب الله إلى أن سر النجاح في مثل هذه المواقف، أو مفتاح النصر فيها ليس في كثرة العدد والعدد بقدر ما هو كامن في الإيمان الصادق، والتضحية المثالية، وروح الفداء الخالصة لوجه الله التي يتشبع بها المسلمون، فالعبرة في نظر الإسلام بالكيف قبل الكم، وذلك ما يقتضيه قوله تعالى: ﴿وَلَن تُغْنِيَ عَنكُمْ فِئَتُكُمْ شَيْئًا وَلَوْ كَثُرَتْ﴾.

وقوله تعالى عقب ذلك: ﴿وَأَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ تعهد من الله تعالى بإعانة أهل الإيمان الحق، وبنصرتهم على غيرهم ولو كانوا ثلة قليلة، ما تمسكوا بإيمانهم وثبتوا على دينهم، وكانت صلتهم بالله موصولة غير مقطوعة"[١]، قَالَ تَعَالَى: ﴿إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى الْمَلَائِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ فَثَبِّتُوا الَّذِينَ آمَنُوا ۚ سَأُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ فَاضْرِبُوا فَوْقَ الْأَعْنَاقِ وَاضْرِبُوا مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ﴾ [الأنفال: ١٢].

وقد بين الله صفة المؤمنين الذين يستحقون المعية والتأييد والنصر، فقال: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَنفَالِ ۖ قُلِ الْأَنفَالُ لِلَّهِ وَالرَّسُولِ ۖ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ ۖ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١﴾ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾ الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣﴾ أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا ۚ لَّهُمْ دَرَجَاتٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾ [الأنفال: ١-٤].

وفي سياق أهمية الإيمان لتحقيق النصر يأتي قوله تعالى: ﴿وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنتُمُ الْأَعْلَوْنَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾[آل عمران: ١٣٩]، وقوله تعالى: ﴿وَلَن يَجْعَلَ اللَّهُ لِلْكَافِرِينَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ سَبِيلًا﴾ [النساء: ١٤١]، وقوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُدَافِعُ عَنِ الَّذِينَ آمَنُوا ۗ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٍ كَفُورٍ﴾ [الحج: ٣٨]، وقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ رُسُلًا إِلَىٰ قَوْمِهِمْ فَجَاءُوهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَانتَقَمْنَا مِنَ الَّذِينَ أَجْرَمُوا ۖ وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الروم: ٤٧]، وقوله تعالى: ﴿إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ﴾[غافر: ٥١]، وقوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ﴾ [المنافقون: ٨].

المطلب الثاني: عدم العُجب والرياء

إصلاح القلوب والنية سبب من أسباب النصر، بحيث لا يخرج الإنسان بطرًا ولا رياءً، وإنما يكون خروجه من أجل أن ترتفع راية الإسلام، وأن تنخفض راية الشرك والكفر والطغيان في الأرض.

العجب في اللغة: قال ابن فارس: "(عجب) العين والجيم والباء أصلان صحيحان، يدل أحدهما على كبر واستكبار للشيء، والآخر خلقة من خلق الحيوان، فالأول العجب، وهو أن يتكبر الإنسان في نفسه تقول: هو معجب بنفسه"[٢]، والعجب بالشيء شدة السرور به حتى لا يعادله شيء عند صاحبه"[٣].

---

(١) التيسير في أحاديث التفسير. محمد المكي الناصري. (٢/٣١٤).
(٢) مقاييس اللغة. (٤/٢٤٣).
(٣) الفروق اللغوية. أبو هلال العسكري. (ص: ٣٥٢).

العجب في الاصطلاح: "العجب: عبارة عن تصور استحقاق الشخص رتبة لا يكون مستحقًا لها"(١).

جاء النهي عن العجب في أخر الآيات التي تحدثت عن أسباب النصر في سورة الأنفال، وذلك في قوله تعالى: ﴿ وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ خَرَجُواْ مِن دِيَـٰرِهِم بَطَرًا وَرِئَآءَ ٱلنَّاسِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۚ وَٱللَّهُ بِمَا يَعۡمَلُونَ مُحِيطٌ ﴾ [الأنفال: ٤٧]، قال أبو المظفر السمعاني: "البطر: الطغيان في النعمة وترك الشكر، والرياء: إظهار الجميل وإبطان القبيح، والآية نزلت في المشركين حين أقبلوا إلى بدر"(٢).

وقال ابن عطية الأندلسي، (ت: ٥٤١هـ): "آية تتضمن الطعن على المشار إليهم وهم كفار قريش، وخرج ذلك على طريق النهي عن سلوك سبيلهم، والإشارة هي إلى كفار قريش بإجماع، و(البطر) الأشر وغمط النعمة والشغل بالمرح فيها عن شكرها، و«الرياء» المباهاة والتصنع بما يراه غيرك، وهو فعال من راءى يرائي سهلت همزته"(٣).

وقال المراغي: "وفى هذا زجر وتهديد على الرياء والتصنع والبطر والكبرياء، وأنه سيجازى عليها أشد الجزاء"(٤).

وقال السعدي (ت: ١٣٧٦هـ) عن أسباب النصر: "ومن أسباب الثبات والنصر: حسن النية، وكمال الإخلاص في إعلاء كلمة الحق؛ فلهذا حذر تعالى من مشابهة الذين خرجوا من ديارهم بطرًا ورئاء الناس، ويصدون عن سبيل الله، فهؤلاء لما لم يعتمدوا على ربهم، وأعجبوا بأنفسهم، وخرجوا أشرين بطرين، وكان قتالهم لنصر الباطل باءوا بالخيبة والفشل والخذلان، ولهذا أدب خيار الخلق لما حصل من بعضهم الإعجاب بالكثرة في غزوة حنين حيث قال القائل: لن نغلب اليوم عن قلة، فقال: ﴿ لَقَدۡ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٖ وَيَوۡمَ حُنَيۡنٍ إِذۡ أَعۡجَبَتۡكُمۡ كَثۡرَتُكُمۡ فَلَمۡ تُغۡنِ عَنكُمۡ شَيۡـٔٗا وَضَاقَتۡ عَلَيۡكُمُ ٱلۡأَرۡضُ بِمَا رَحُبَتۡ ثُمَّ وَلَّيۡتُم مُّدۡبِرِينَ ﴾[التوبة: ٢٥]، فلما زال هذا الأمر عنهم، وعرفوا ضعفهم وعاقبة الإعجاب، قال تعالى: ﴿ ثُمَّ أَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَعَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَأَنزَلَ جُنُودٗا لَّمۡ تَرَوۡهَا وَعَذَّبَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْۚ وَذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴾ [التوبة: ٢٦]"(٥).

والعجب من الأعمال القلوب التي تخالف الإخلاص والتوكل على الله عز وجل، وهي مذمومة في كل حال، وفي حال القتال والنازل أولى لأن هذا الموطن ينبغي فيه التقرب والإخلاص والتوكل على الله عز وجل.

ومما سبق في هذا المبحث يتبين للباحث أن الأسباب المعنوية هي الأسس النفسية والعقدية التي يبنى عليها تحقق النصر والمتمثلة بالإيمان والإخلاص والذكر والصبر، وغيرها مما ورد في المبحث، وفي ذلك دلالة على ضرورة تحقيق النصر الداخلي (الالتزام بما جاء اعتقادًا وتنفيذًا) قبل النصر الخارجي على الأعداء.

---

(١) التعريفات الفقهية. البركتي. (ص: ١٤٣).

(٢) تفسير القرآن. (٢/٢٧٠).

(٣) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز. (٢/٥٣٧).

(٤) تفسير المراغي. (١٠/١٢).

(٥) تيسير اللطيف المنان في خلاصة تفسير القرآن. عبد الرحمن السعدي. (١/ ١١٣)

المطلب الثالث: التقوى

نبهت آيات سورة الأنفال المؤمنين في عدة مواضع على التقوى وبينت أهميتها في تحقيق النصر؛ لأن التقوى رقابة داخلية ذاتية تدفع صاحبها للخير وتزجره عن الشر، خوفًا من الله تعالى، قال تعالى: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْأَنفَالِ ۖ قُلِ ٱلْأَنفَالُ لِلَّهِ وَٱلرَّسُولِ ۖ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَصْلِحُوا۟ ذَاتَ بَيْنِكُمْ ۖ وَأَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ [الأنفال: ١]، وقال تعالى: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِن تَتَّقُوا۟ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّكُمْ فُرْقَانًا وَيُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ﴾ [الأنفال: ٢٩].

وقال الفخر الرازي: "وكان الله عالما بأنهم يتقون أم لا يتقون، فذكر بلفظ الشـــرط، لأنه خاطب العباد بما يخاطب بعضهم بعضًا، فإذا اتقى العبد ربه – وذلك باتباع أوامره واجتناب نواهيه – وترك الشبهات مخافة الوقوع في المحرمات، وشحن قلبه بالنية الخالصة، وجوارحه بالأعمال الصالحة، وتحفظ من شوائب الشرك الخفي والظاهر بمراعاة غير الله في الأعمال، والركون إلى الدنيا بالعفة عن المال، جعل له بين الحق والباطل فرقانا، ورزقه فيما يريد من الخير إمكانا"(١).

وقال الفخر الرازي: "هذه القضية الشرطية شرطها شيء واحد وهو تقوى الله تعالى، وذلك يتناول اتقاء الله في جميع الكبائر، وإنما خصصنا هذا بالكبائر لأنه تعالى ذكر في الجزاء تكفير السيئات، والجزاء يجب أن يكون مغايرًا للشرط، فحملنا التقوى على تقوى الكبائر وحملنا السيئات على الصغائر ليظهر الفرق بين الشرط والجزاء، وأما الجزاء المرتب على هذا الشـــرط فأمور ثلاثة: الأول: قوله: يجعل لكم فرقانًا والمعنى أنه تعالى يفرق بينكم وبين الكفار، ولما كان اللفظ مطلقًا وجب حمله على جميع الفروق الحاصلة بين المؤمنين وبين الكفار فنقول: هذا الفرقان إما أن يعتبر في أحوال الدنيا أو في أحوال الآخرة، أما في أحوال الدنيا فإما أن يعتبر في أحوال القلوب وهي الأحوال الباطنة أو في الأحوال الظاهرة، أما في أحوال القلوب فأمور: أحدها: أنه تعالى يخص المؤمنين بالهداية والمعرفة، وثانيها: أنه يخص قلوبهم وصدورهم بالانشراح كما قال تعالى: ﴿أَفَمَن شَرَحَ ٱللَّهُ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَـٰمِ فَهُوَ عَلَىٰ نُورٍ مِّن رَّبِّهِۦ ۚ فَوَيْلٌ لِّلْقَـٰسِيَةِ قُلُوبُهُم مِّن ذِكْرِ ٱللَّهِ ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ فِى ضَلَـٰلٍ مُّبِينٍ﴾ [الزمر: ٢٢]، وثالثها: أنه يزيل الغل والحقد والحســد عن قلوبهم ويزيل المكر والخداع عن صــدورهم، مع أن المنافق والكافر يكون قلبه مملوءًا من هذه الأحوال الخسيسة والأخلاق الذميمة، والسبب في حصول هذه الأمور أن القلب إذا صار مشرقًا بطاعة الله تعالى زالت عنه كل هذه الظلمات لأن معرفة الله نور، وهذه الأخلاق ظلمات، وإذا ظهر النور فلا بد من زوال الظلمة، وأما في الأحوال الظاهرة، فإن الله تعالى يخص المســلمين بالعلو والفتح والنصـــر والظفر، كما قال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلْمُؤْمِنِينَ﴾ [المنافقين: ٨]، وكما قال تعالى: ﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُشْرِكُونَ﴾[التوبة: ٣٣]، وأمر الفاســق والكافر بالعكس من ذلك، وأما في أحوال الآخرة، فالثواب والمنافع الدائمة والتعظيم من الله والملائكة وكل هذه الأحوال داخلة في الفرقان"(٢)، وقال تعالى: ﴿ فَكُلُوا۟ مِمَّا غَنِمْتُمْ حَلَـٰلًا طَيِّبًا ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾[الأنفال: ٦٩].

---

(١) الجامع لأحكام القرآن. (٣٩٦/٧).

(٢) مفاتيح الغيب (التفسير الكبير). (٤٧٦/١٥).

المبحث الثالث: الأسباب المادية الحسية الواردة في سورة الأنفال

تدور محاور هذا المبحث على قول الله عز وجل: ﴿وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ ٱلْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَءَاخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ ٱللَّهُ يَعْلَمُهُمْ ۚ وَمَا تُنفِقُواْ مِن شَىْءٍ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لَا تُظْلَمُونَ﴾ [الأنفال: ٦٠]، وتتحدث هذه الآية عن الأسباب المادية لتحقيق النصر على الأعداء، وسيكتفي الباحث بذكر ما ورد فيها وهي على النحو الآتي:

المطلب الأول: الإعداد

تحدثت الآية الكريمة عن عموم الإعداد ويدخل في هذا الإعداد المقاتلين الذين يواجهون الأعداء في ساحة المعركة وجهًا لوجه، ويستطيع الباحث من خلال المبحث السابق القول إن الأسباب المعنوية تصب في هذا النوع من الإعداد فإعداد المقاتلين إيمانيًا ونفسيًا يعد الواجهة الأولى من هذا الإعداد.

وتعريف الإعداد في اللغة: "الإعداد: بالكسر، التهيئة والإرصاد، وأكثر استعماله في الموجود، وقيل يستعمل فيما هو في معنى الموجود"(١).

والإعداد في الاصطلاح: "الإعداد تهيئة الشيء للمستقبل، والرباط"(٢).

وجاء الخطاب فيه بصيغة العموم بقوله: ﴿وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ ٱلْخَيْلِ﴾ وهذه القوة تهدف إلى بث الخوف لدى الأعداء، وجاء ذلك في قوله عز وجل: ﴿تُرْهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ﴾ تلك الرهبة التي تختلع القلوب والأبدان فيحقق النصر والفوز قبل بدء القتال، وهذا نوع من الحرب النفسية التي تستخدم في قبل المعركة.

قال عبد الكريم الخطيب: "من أساليب الحرب النفسية – تخويف العدو وإرهابه، بما يرى في جيش المجاهدين من أمارات القوة، ووسائل الغلب.. وشبيه بهذا ما تقوم به الأمم من عرض قوتها في تلك العروض العسكرية، التي تكشف بها عن بعض عدتها وعتادها، على حين أنها إذ تكشف عن بعض قوتها، فإنها تشير إلى أن وراء هذا الذي أعلنته قوى كثيرة خفية"(٣).

وقال الفخر الرازي عند تفسيره لقوله تعالى: "﴿تُرْهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ﴾، وذلك أن الكفار إذا علموا كون المسلمين متأهبين للجهاد ومستعدين له مستكملين لجميع الأسلحة والآلات خافوهم، وذلك الخوف يفيد أمورًا كثيرة: **أولها**: أنهم لا يقصدون دخول دار الإسلام".

وثانيها: أنه إذا اشتد خوفهم فربما التزموا من عند أنفسهم جزية، **وثالثها**: أنه ربما صار ذلك داعيًا لهم إلى الإيمان، **ورابعها**: أنهم لا يعينون سائر الكفار، **وخامسها**: أن يصير ذلك سببًا لمزيد الزينة في دار الإسلام"(٤).

---

(١) التوقيف على مهمات التعاريف. عبد الرؤوف المناوي. (ص: ٥٦).

(٢) تفسير القرآن الحكيم (تفسير المنار). (١٠/٥٣).

(٣) التفسير القرآني للقرآن. (١٣/٣٨٤).

(٤) مفاتيح الغيب (التفسير الكبير). (١٥/٤٩٩).

وقال ابن عجيبة الفاسي (ت: ١٢٢٤هـ): "أَعلم الله المؤمنين والعارفين استعداد قتل أعداء الله، وسمى آلة القتال بقوة، وتلك القوة قوة الإلهية، التي لا ينالها العارف من الله إلا بخضوعه بين يديه، بنعت الفناء في جلاله، فإذا كان كذلك يلبسه الله لباس عظمته ونور كبريائه وهيبته، ويغريه إلى الدعاء عليهم، ويجعله منبسطًا، حتى يقول في سره: إلهي خذهم، فيأخذهم بلحظة، ويسقطهم صرعى بين يديه بعونه وكرمه، ويسلي قلب وليه بتفريجه من شرور مُعارضيه ومنكريه، وذلك سهم رمى نفوس الهمة عن كنانة الغيرة، كما رمى نبي الله صلى الله عليه وسلم إلى منكريه حين قال: «شاهت الوجوه»(١)، وهذا الرمي من الله، بدليل قوله تعالى: ﴿فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ قَتَلَهُمْ ۚ وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ رَمَىٰ ۚ وَلِيُبْلِيَ ٱلْمُؤْمِنِينَ مِنْهُ بَلَآءً حَسَنًا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾[الأنفال: ١٧]"(٢).

وقد نصت الآية الكريمة على ضرورة الإعداد للمقاتلين والسلاح والعتاد؛ لأنها من أسباب القوة التي ترهب العدو، وجاء ذكر لفظ (الخيل) في الآية الكريمة لما لها من الأهمية القصوى في المعركة باعتبارها السلاح الضارب وقت نزول الآية، وقياسًا عليه فإن كل ما يمكن إعداده وارتباطه في سبيل الله من أسباب القوة المادية من سلاح وعتاد وطائرات وبوارج ومدرعات هو واجب في حق المسلمين، وهو من أسباب النصر على الأعداء، ومن أسباب فرض هيبة المسلمين عليهم(٣).

ولقد ذكر ذلك المفسرين عند تعرضهم للآية الكريمة' وفسر النبي صلى الله عليه وسلم الآية فعن عقبة بن عامر رضي الله عنه، (ت: ٥٨هـ) يقول: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم، وهو على المنبر، يقول: ﴿وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ﴾ «ألا إن القوة الرمي، ألا إن القوة الرمي، ألا أن القوة الرمي»(٤).

وقال ابن جرير الطبري عند تفسير قوله تعالى: ﴿وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ ٱلْخَيْلِ﴾ "يقول: ما أطقتم أن تعدوه لهم من الآلات التي تكون قوة لكم عليهم من السلاح والخيل، ﴿تُرْهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ﴾، يقول: تخيفون بإعدادكم ذلك عدو الله وعدوكم من المشركين، وبنحو ما قلنا في ذلك قال أهل التأويل"(٥).

وقال الفخر الرازي: "اعلم أنه تعالى لما أوجب على رسوله أن يشرد من صدر منه نقض العهد، وأن ينبذ العهد إلى من خاف منه النقض، أمره في هذه الآية بالإعداد لهؤلاء الكفار، وهذه الآية تدل على أن الاستعداد للجهاد بالنبل والسلاح وتعليم الفروسية والرمي فريضة، إلا أنه من فروض الكفايات، وقوله: ومن رباط الخيل الرباط المرابطة أو جمع ربيط"(٦).

---

(١) أخرجه الإمام مسلم في الصحيح كتاب الجهاد والسير باب في غزوة حنين. برقم (١٧٧٧).

(٢) البحر المديد في تفسير القرآن المجيد. (٣٤٣/٢).

(٣) انظر: أسباب النصر والهزيمة في الكتاب والسنة. حماد أبو شعر. **رسالة ماجستير**، جامعة أم القرى، للعام (١٤٠٦هـ -١٤٠٧هـ)، (٣٦٢).

(٤) صحيح مسلم. كتاب الإمارة، باب فضل الرمي والحث عليه، ودم من علمه ثم نسيه برقم (١٩١٧).

(٥) جامع البيان في تأويل القرآن. (١١/ ٢٤٤).

(٦) مفاتيح الغيب. (٤٩٩/١٥).

قال محمد رشيد رضا: "أمر الله تعالى عباده المؤمنين بأن يجعلوا الاستعداد للحرب التي علموا أن لا مندوحة عنها لدفع العدوان والشر، ولحفظ الأنفس ورعايته الحق والعدل والفضيلة بأمرين: (أحدهما) إعداد جميع أسباب القوة لها بقدر الاستطاعة، (وثانيهما) مرابطة فرسانهم في ثغور بلادهم وحدودها، وهي مداخل الأعداء ومواضع مهاجمتهم للبلاد، والمراد أن يكون للأمة جند دائم مستعد للدفاع عنها إذا فاجأها العدو على غرة، قاومه الفرسان، لسرعة حركتهم، وقدرتهم على الجمع بين القتال، وإيصال أخباره من ثغور البلاد إلى عاصمتها وسائر أرجائها"(١).

وقال المراغي: "ويدخل في هذا كل ما ولّده العلم في هذا العصر من وسائل الدفاع من طائرات وقاذفات للقنابل ودبابات ومدافع رشاشة وبنادق وأساطيل بحرية ونحو ذلك مما صار ضروريًا من آلات الحروب الحديثة، وصار من فقدها يشبه أن يكون أعزل من السلاح وإن كان مدجّجًا به، ويلزم هذا أن يكونوا عالمين بفنون الحرب والخطط العسكرية بارعين في العلوم الطبيعية والرياضية، فكل ذلك واجب على المسلمين في هذا العصر، لأن الاستعداد لا يتم إلا به"(٢).

ومما سبق يتضح أن إعداد السلاح والعتاد للقتال يشمل جميع أنواع السلاح التي يتناسب مع كل زمان ومكان، وليس فقط محصورًا في الخيل، وهذا ما أشار إليه المحدثين من المفسرين.

المطلب الثاني: الإنفاق

إن الأخذ بالأسباب المادية مع التوكل على الله تعالى من عوامل النصر بعد توفيق الله ومدده، ومن متطلبات المعركة الإنفاق، فله أهمية كبرى في تحديد خط سير المعركة، ورد كيد الأعداء، وكسر شوكتهم، وقد ذكر الله عز وجل الإنفاق في معرض الحديث عن إعداد القوة، فقال تعالى:﴿ وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسۡتَطَعۡتُم مِّن قُوَّةٖ وَمِن رِّبَاطِ ٱلۡخَيۡلِ تُرۡهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمۡ وَءَاخَرِينَ مِن دُونِهِمۡ لَا تَعۡلَمُونَهُمُ ٱللَّهُ يَعۡلَمُهُمۡۚ وَمَا تُنفِقُواْ مِن شَيۡءٖ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ يُوَفَّ إِلَيۡكُمۡ وَأَنتُمۡ لَا تُظۡلَمُونَ ﴾ [الأنفال: ٦٠].

وقال السعدي: "أي (وَأَعِدُّوا) لأعدائكم الكفار الساعين في هلاككم وإبطال دينكم، (مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ) أي: كل ما تقدرون عليه من القوة العقلية والبدنية وأنواع الأسلحة ونحو ذلك مما يعين على قتالهم، فدخل في ذلك أنواع الصناعات التي تعمل فيها أصناف الأسلحة والآلات من المدافع والرشاشات، والبنادق، والطيارات الجوية، والمراكب البرية والبحرية، والحصون والقلاع والخنادق، وآلات الدفاع، والرأي: والسياسة التي بها يتقدم المسلمون ويندفع عنهم به شر أعدائهم، وتَعَلُّم الرَّمْيِ، والشجاعة والتدبير".

ولهذا قال النبي صلى الله عليه وسلم: (ألا إن القوة الرَّمْيُ)، ومن ذلك: الاستعداد بالمراكب المحتاج إليها عند القتال، ولهذا قال تعالى: (وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ)، وهذه العلة موجودة فيها في ذلك الزمان، وهي إرهاب الأعداء، والحكم يدور مع علته.

---

(١) تفسير القرآن الحكيم (المنار). (٥٣/١٠).

(٢) تفسير المراغي، (٤/ ١٧٢).

فإذا كان شيء موجود أكثر إرهابًا منها، كالسيارات البرية والهوائية، المعدة للقتال التي تكون النكاية فيها أشد، كانت مأمورًا بالاستعداد بها، والسعي لتحصيلها، حتى إنها إذا لم توجد إلا بتعلُّم الصناعة، وجب ذلك، لأن ما لا يتم الواجب إلا به، فهو واجب"(١).

"المجهود الحربي يعتمد بدرجة أساسية على المال وكل شئون الإعداد المادي للمعركة من سلاح وعتاد يحتاج إلى المال لإعداده وصيانته، وبدهي القول بأن المال هو من الضرورات الأولية للمعركة، ومن ثم فهو من الأسباب الرئيسة للانتصار في المعركة، وإن لم يتوفر المال فلا يمكن توفير الأمور الضرورية للقتال والمواجهة من سلاح وعتاد، مما يؤدي إلى مردود عكسي على المعركة"(٢).

و"الآية الكريمة على اختصارها جمعت أنواع الإعداد للجيوش التي تتلاءم مع كل عصر وزمن ما استطعتم من قوة، فالإعداد الأدبي، والمادي، والإداري، والفني، والمالي، مع الحث على ذلك كله بالثواب الجزيل والعطاء الكثير كل ذلك في الآية الشريفة، ولقد فرض القرآن علينا الإعداد بأنواعه وأعدوا، وأن نبذل فيه أكثر جهودنا وأن نقدم النفس والنفيس ما استطعنا إلى ذلك سبيلًا... ولم يكن هناك إعداد ونصر إلا بالمال، ولا سبيل إليه إلا بالإنفاق المطلق كل على قدر طاقته وإيمانه مع حقنا على التسابق فيه والعمل على إحراز ثوابه الكبير المعد لنا يوم القيامة"(٣).

وقال أبو حفص النسفي: "وكل نفقة قلت أو كثرت تنفقونها في طاعة الله وخصوصًا في الجهاد فأجره موفر عليكم بالواحد سبع مئة إلى ما فوق ذلك، وأنتم لا تنقصون من أجور أعمالكم شيئا"(٤).

وذكر أبو بكر الجزائري (ت: ١٤٣٩هـ): "إخبار منه تعالى أن ما ينفقه المسلمون من نفقة قلت أو كثرت في سبيل الله التي هي الجهاد يوفّيهم الله تعالى إياها كاملة ولا ينقصهم منها شيئًا فجملة (وأنتم لا تظلمون) جملة حالية ومعناها لا يظلمكم الله تعالى بنقص ثواب نفقاتكم في سبيله هذا ما دلت عليه الآية الأولى"(٥) وفي هذا السياق قوله تعالى: ﴿ وَأَنفِقُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا تُلۡقُواْ بِأَيۡدِيكُمۡ إِلَى ٱلتَّهۡلُكَةِ وَأَحۡسِنُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴾[البقرة: ١٩٥].

والأمر بالإنفاق في هذه الآية المباركة جاء للدلالة على الإعداد المالي والذي لابد منه لشراء العتاد والسلاح وغيرها من المعدات القتالية.

وقال تعالى في بيان صفات المؤمنين: ﴿ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ يُنفِقُونَ ﴾[الأنفال: ٣].

المطلب الثالث: الخروج نصرة لدين الله

إن غاية الجهاد في الإسلام هي نصرة دين الله تعالى، والقضاء على كل أسباب الفتنة في الدين، وإعلاء كلمة التوحيد، كما قال الله تعالى: ﴿ وَقَٰتِلُوهُمۡ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتۡنَةٞ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ كُلُّهُۥ لِلَّهِۚ فَإِنِ ٱنتَهَوۡاْ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِمَا يَعۡمَلُونَ بَصِيرٞ ﴾[الأنفال: ٣٩].

(١) تيسير الكريم الرحمن، (ص: ٣٢٤)..
(٢) أسباب النصر والهزيمة في الكتاب والسنة. (٣٧١).
(٣) التفسير الواضح، الحجازي. محمد محمود. (٨٤١/١).
(٤) التيسير في التفسير. (٣٢٤/٢).
(٥) أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير. (ومعه حاشية نهر الخير)، (٣٢٤/٢).

وقال ابن جرير الطبري: "تعالى ذكره للمؤمنين به وبرسوله: وإن يعد هؤلاء لحربك، فقد رأيتم سنتي فيمن قاتلكم منهم يوم بدر، وأنا عائد بمثلها فيمن حاربكم منهم، فقاتلوهم حتى لا يكون شرك ولا يعبد إلا الله وحده لا شريك له، فيرتفع البلاء عن عباد الله من الأرض، وهو الفتنة ﴿وَيَكُونَ ٱلدِّينُ كُلُّهُۥ لِلَّهِ﴾، يقول: حتى تكون الطاعة والعبادة كلها لله خالصة دون غيره"(١).

وقال الفخر الرازي: "فأمر الله تعالى بقتالهم حتى تزول هذه الفتنة، وفيه وجه آخر، وهو أن مبالغة الناس في حبهم أديانهم أشد من مبالغتهم في حبهم أرواحهم، فالكافر يسعى بأعظم وجوه السعي في إيذاء المؤمنين وفي إلقاء الشبهات في قلوبهم وفي إلقائهم في وجوه المحنة والمشقة، وإذا وقعت المقاتلة زال الكفر والمشقة، وخلص الإسلام وزالت تلك الفتن بالكلية..."(٢).

وقال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍۚ إِلَّا تَفْعَلُوهُ تَكُن فِتْنَةٌ فِى ٱلْأَرْضِ وَفَسَادٌ كَبِيرٌ﴾ [الأنفال: ٧٣]، و"المعنى: إن لم تفعلوا ما أمرتكم به في هذه التفاصيل المذكورة المتقدمة تحصل فتنة في الأرض، ومفسدة عظيمة، وبيان هذه الفتنة والفساد من وجوه:

الوجه الأول: أن المسلمين لو اختلطوا بالكفار في زمان ضعف المسلمين وقلة عددهم، وزمان قوة الكفار وكثرة عددهم، فربما صارت تلك المخالطة سببًا لالتحاق المسلم بالكفار.

الوجه الثاني: أن المسلمين لو كانوا متفرقين لم يظهر منهم جمع عظيم، فيصير ذلك سببًا لجراءة الكفار عليهم.

الوجه الثالث: أنه إذا كان جمع المسلمين كل يوم في الزيادة في العدة والعدة، صار ذلك سببًا لمزيد رغبتهم فيما هم فيه ورغبة المخالف في الالتحاق بهم"(٣).

ويدل على هذا مفهوم المخالفة من قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ لِيَصُدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۚ فَسَيُنفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَۗ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِلَىٰ جَهَنَّمَ يُحْشَرُونَ ﴿٣٦﴾ لِيَمِيزَ ٱللَّهُ ٱلْخَبِيثَ مِنَ ٱلطَّيِّبِ وَيَجْعَلَ ٱلْخَبِيثَ بَعْضَهُۥ عَلَىٰ بَعْضٍ فَيَرْكُمَهُۥ جَمِيعًا فَيَجْعَلَهُۥ فِى جَهَنَّمَۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ﴾ [الأنفال: ٣٦ - ٣٧].

وقال محمد الطاهر بن عاشور: "لما ذكر صدهم المسلمين عن المسجد الحرام الموجب لتعذيبهم، عقب بذكر محاولتهم استئصال المسلمين وصدهم عن الإسلام وهو المعني ب سبيل الله وجعلت الجملة مستأنفة، غير معطوفة، اهتمامًا بها أي أنهم ينفقون أموالهم وهي أعز الأشياء عليهم للصد عن الإسلام، وأتى بصيغة المضارع في ينفقون للإشارة إلى أن ذلك دأبهم وأن الإنفاق مستمر لإعداد العدد لغزو المسلمين، فإنفاقهم حصل في الماضي ويحصل في الحال والاستقبال، وأشعرت لام التعليل بأن الإنفاق مستمر؛ لأنه منوط بعلة ملازمة لنفوسهم وهي بغض الإسلام وصدهم الناس عنه"(٤).

---

(١) جامع البيان عن تأويل آيات القرآن. (١٧٨/١١).
(٢) مفاتيح الغيب (التفسير الكبير). (٤٨٣/١٥).
(٣) المرجع السابق، (٥١٨/١٥).
(٤) التحرير والتنوير. (٣٤٠/٩).

فـــــ"هذا عذابهم في الدنيا: ضياع المال والهزيمة: وعذابهم في الآخرة: أنهم يساقون إلى جهنم، إذا أصرّوا على كفرهم وماتوا وهم كفار، لأن منهم من أسلم وحسن إسلامه، أما المسلمون المؤمنون إذا أنفقوا أموالهم في سبيل الله، فيتحقق إما النصر في الدنيا، وإما الثواب في الآخرة، أو الأمران معًا وسعادة الدارين.

هذه مقارنة واضحة تبين فائدة الإنفاق في سبيل الخير، وضرر الإنفاق في سبيل الشر والشيطان، والله تعالى في قضائه وقدره وعلمه الأزلي كتب النصر للمؤمنين، والهزيمة للكافرين وضياع أموالهم، وإيقاع الحسرة والألم في قلوبهم، (ليميز) أي يفصل الفريق (الخبيث) من الفريق (الطيب)، أي: يفرّق بين الفريقين وهما فريق الكافرين، وفريق المؤمنين، أو فريق أهل الشقاء وفريق أهل السعادة، ويجعل الخبيث بعضه.

وقد أوضحت الآيتان حصاد أهل الإيمان، فهم بجهادهم الصادق، وعملهم المخلص يتبوؤون الدرجات العالية في جنان الخلد، وأهل الكفر والضلال يطوي التاريخ صفحتهم من الوجود، ويعتبرهم مثلًا للتخلف والانزواء والضياع في الدنيا، ووقودًا للنار في الآخرة، بسبب سوء أعمالهم وقبح أفعالهم، ومقاومتهم رسالة الحق والخير والإصلاح"(١).

والآية فيها بشارة لأهل الإيمان في هذا الزمن؛ وهي أنهم لو صدقوا الله تعالى بالإيمان لكان الكفار مغلوبين، وأنهم لو رجعوا إلى الإيمان حقًا في العقيدة والقول والعمل والأخلاق والآداب، وجميع ما يتعلق بالشريعة الإسلامية لكان الكفار أمامنا مغلوبين، ويشهد لهذا الواقع الذي حصل في سلف هذه الأمة حيث ملكوا مشارق الأرض ومغاربها.

وقال تعالى: ﴿ إِذْ يَقُولُ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ غَرَّ هَٰٓؤُلَآءِ دِينُهُمْ ۗ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَإِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ [الأنفال: ٤٩]، فقوله تعالى: ﴿ غَرَّ هَٰٓؤُلَآءِ دِينُهُمْ ﴾، "أي: أوردهم الدين الذي هم عليه هذه الموارد التي لا يدان لهم بها، ولا استطاعة لهم بها، يقولونه احتقارًا لهم واستخفافًا لعقولهم، وهم – والله – الأخِفَّاءُ عقولًا الضعفاء أحلامًا.

فإن الإيمان يوجب لصاحبه الإقدام على الأمور الهائلة التي لا يقدم عليها الجيوش العظام، فإن المؤمن المتوكل على الله، الذي يعلم أنه ما من حول ولا قوة ولا استطاعة لأحد إلا بالله تعالى، وأن الخلق لو اجتمعوا كلهم على نفع شخص بمثقال ذرة لم ينفعوه، ولو اجتمعوا على أن يضروه لم يضروه إلا بشيء قد كتبه الله عليه، وعلم أنه على الحق، وأن الله تعالى حكيم رحيم في كل ما قدره وقضاه، فإنه لا يبالي بما أقدم عليه من قوة وكثرة، وكان واثقًا بربه، مطمئن القلب لا فزعًا ولا جبانًا، ولهذا قال: ﴿ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَإِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ ﴾، لا يغالب قوته قوة. ﴿ حَكِيمٌ ﴾ فيما قضاه وأجراه"(٢).

وقال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَهَاجَرُوا۟ وَجَٰهَدُوا۟ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ ءَاوَوا۟ وَّنَصَرُوٓا۟ أُو۟لَٰٓئِكَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَمْ يُهَاجِرُوا۟ مَا لَكُم مِّن وَلَٰيَتِهِم مِّن شَىْءٍ حَتَّىٰ يُهَاجِرُوا۟ ۚ وَإِنِ ٱسْتَنصَرُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ

(١) التفسير الوسيط. وهبة الزحيلي. (١/٧٩٧، ٧٩٨).

(٢) تيسير الكريم الرحمن. السعدي. (ص: ٣٢٣).

فَعَلَيْكُمُ النَّصْرُ إِلَّا عَلَى قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ مِيثَاقٌ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٧٢﴾ وَالَّذِينَ كَفَرُوا بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ إِلَّا تَفْعَلُوهُ تَكُنْ فِتْنَةٌ فِي الْأَرْضِ وَفَسَادٌ كَبِيرٌ ﴿٧٣﴾ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ آوَوْا وَنَصَرُوا أُولَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾[الأنفال: ٧٢ - ٧٤].

- إن الذين آمنوا بالله وصدقوا رسوله وعملوا بشرعه، وهاجروا من بلد الكفر إلى بلد الإسلام، أو إلى مكان يعبدون الله فيه آمنين، وجاهدوا ببذل أموالهم وبذل أنفسهم لإعلاء كلمة الله، والذين أنزلوهم في منازلهم، ونصروهم - أولئك المهاجرون والذين نصروهم من أهل الدار بعضهم أولياء بعض في النصرة والمعونة، والذين آمنوا بالله ولم يهاجروا من بلد الكفر إلى بلد الإسلام ليس عليكم - أيها المؤمنون - أن تنصروهم وتحموهم حتى يهاجروا في سبيل الله، وإن ظلمهم الكفار فطلبوا منكم النصر فانصروهم على عدوهم، إلا إذا كان بينكم وبين عدوهم عهد لم ينقضوه، والله بما تعملون بصير، لا يخفى عليه شيء من أعمالكم، وسيجازيكم عليها.
- والذين كفروا بالله يجمعهم الكفر، فيناصر بعضهم بعضًا، فلا يواليهم مؤمن، إن لم توالوا المؤمنين وتعادوا الكافرين تكن فتنة للمؤمنين حيث لم يجدوا من يناصرهم من إخوانهم في الدين، ويكن فساد في الأرض عظيم بالصد عن سبيل الله.
- والذين آمنوا بالله وهاجروا في سبيله، والذين آووا المهاجرين في سبيل الله ونصروهم، أولئك هم المتصفون بصفة الإيمان حقًّا، وجزاؤهم من الله مغفرة لذنوبهم، ورزق كريم منه، وهو الجنة"(١).

فعلى المؤمن أن يبذل الجهد ويمحص النية في جهاده القولي والعملي، وأن ينصر الحق والمظلومين المستضعفين، وأن يحرص على تولي إخوانه المؤمنين، فكما أن الكفار مجتمعون رغم تناقضاتهم واختلافاتهم فإنه من الغبن أن يرى المسلم أخاه في الدين يستضعف ويظلم، وهو لا يحنو له، ولا ينصره.

ومهما كتب الباحث عن عوامل النصر والهزيمة في هذه السورة فإنه لا يستطيع أن يحيط بها، فهي سورة عظيمة يستقي منها المؤمنون في كل زمان ومكان عوامل وأسباب نهضتهم ونصره، إن أخذوا بالأسباب وتوكلوا على مسبب الأسباب وهو الله تعالى.

النتائج والتوصيات:

توصل الباحث في نهاية هذه الدراسة إلى عدد من النتائج والتوصيات:

أولًا: نتائج الدراسة

١- إن سورة الأنفال من السور التي حوت على آيات أسباب النصر.

٢- للنصر أسباب كثيرة، ويمكن تقسيمها إلى ثلاثة أقسام رئيسة هي: الأسباب المعنوية والحسية، والأسباب المعنوية، والأسباب المادية.

٣- يقصد بالأسباب المعنوية كل ما يتعلق بالمسلم داخليًا من: الإيمان والذكر والصبر والاتحاد، وما يشعر به من معية الله عز وجل له في جميع أحواله.

٤- يقصد بالأسباب المادية كل الأشياء الخارجية التي يستعين بها المسلم في المعركة من سلاح وعدة وعتاد وجيش.

(١) المختصر في تفسير القرآن الكريم. جماعة من علماء التفسير. (ص: ١٨٦).

٥- الأسباب المعنوية أكثر أثرًا من الأسباب المادية، لأنها تتعلق بالإعداد الإيماني والعقدي للمقاتل المسلم، وهذا لا يعني إهمال الأسباب المادية، ولكن الجمع بينهما على الترتيب بما يحقق النصر.

٦- المال هو أحد ركائز الإعداد للجيش المسلم، ولذا نص الله عز وجل في آية إعداد القوة على ضرورة الإنفاق، وفي العصر الحاضر نرى أعداء الإسلام يحرصون على وضع ميزانيات مالية كبيرة لهذا الغرض.

ثانيًا: توصيات الدراسة

١- دراسة عوامل النصر والهزيمة في سورتي البقرة وآل عمران.

٢- دراسة أثر الإيمان في تحقيق النصر في سور القرآن الكريم باعتباره أهم عوامل النصر على الإطلاق.

المراجع والمصادر:

القرآن الكريم:

الإحكام في أصول الأحكام. علي بن أبي علي بن محمد، سيف الدين الآمدي. (ت: ٦٣١هـ). تحقيق: عبد الرزاق عفيفي، المكتب الإسلامي: بيروت.

الأخلاق الإسلامية وأسسها. عبد الرحمن حبنكة الميداني. دار القلم: دمشق.

أسباب النصر والهزيمة في الكتاب والسنة. لطالب حماد أبو شعر. (١٤٠٧هـ). **رسالة ماجستير**، جامعة أم القرى.

أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير (ومعه حاشية نهر الخير). أبو بكر جابر بن موسى بن عبد القادر الجزائري. مكتبة العلوم والحكم: المدينة المنورة، ط٥، (١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م).

بحر العلوم. أبو الليث نصر بن محمد بن أحمد بن إبراهيم السمرقندي. (ت: ٣٧٣هـ).

البحر المحيط في التفسير. أبو حيان محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان. أثير الدين الأندلسي. (ت: ٧٤٥هـ). المحقق: صدقي محمد جميل، دار الفكر: بيروت، (١٤٢٠هـ).

البحر المديد في تفسير القرآن المجيد. أبو العباس أحمد بن محمد بن المهدي بن عجيبة الحسني الفاسي الصوفي. (ت: ١٢٢٤هـ). تحقيق: أحمد عبد الله القرشي رسلان، حسن عباس زكي، القاهرة، (١٤١٩هـ).

تاج العروس من جواهر القاموس. محمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق الحسيني الزَّبيدي. (ت: ١٢٠٥هـ). تحقيق: مجموعة من المحققين، دار الهداية.

التحرير والتنوير (تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد). محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي. (ت: ١٣٩٣هـ). الدار التونسية للنشر: تونس، (١٩٨٤هـ).

التعريفات الفقهية. محمد عميم الإحسان المجددي البركتي. دار الكتب العلمية: ط١، (١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م).

التعريفات. علي بن محمد بن علي الزين الشريف الجرجاني. (ت: ٨١٦هـ). ضبطه وصححه جماعة من العلماء بإشراف، دار الكتب العلمية: بيروت، ط١، (١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م).

التفسير البسيط. أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي، النيسابوري، الشافعي. (ت: ٤٦٨هـ). عمادة البحث العلمي - جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية: ط١، (١٤٣٠هـ).

تفسير الشعراوي – الخواطر. محمد متولي الشعراوي. (ت ١٤١٨هـ). مطابع أخبار اليوم.

تفسير القرآن الحكيم. محمد رشيد بن علي رضا بن محمد القلموني. (ت: ١٣٥٤هـ). الهيئة المصرية العامة للكتاب، (١٩٩٠م).

تفسير القرآن العظيم. أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري. (ت: ٧٧٤هـ). تحقيق: سامي بن محمد السلامة، دار طيبة للنشر والتوزيع: ط٢، (١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م).

تفسير القرآن الكريم: سورة النساء. محمد بن صالح بن عثيمين. (ت: ١٤٢١هـ). دار ابن الجوزي: الدمام، ط١، (١٤٣٠هـ - ٢٠٠٩م).

تفسير القرآن. أبو المظفر، منصور بن محمد بن عبد الجبار ابن أحمد المروزي السمعاني التميمي. (ت: ٤٨٩هـ). المحقق: ياسر بن إبراهيم، وغنيم بن عباس بن غنيم، دار الوطن: الرياض، ط١، (١٤١٨هـ - ١٩٩٧م).

التفسير القرآني للقرآن. عبد الكريم يونس الخطيب. (ت: ١٤٠٦هـ). دار الفكر العربي: القاهرة.

تفسير المراغي. أحمد مصطفى المراغي. (ت: ١٣٧١هـ). شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده: مصر، ط١، (١٣٦٥هـ - ١٩٤٦م).

التفسير المنير: في العقيدة والشريعة والمنهج. وهبة بن مصطفى الزحيلي. دار الفكر: دمشق، ط١، (١٤١١هـ).

التفسير الواضح. الحجازي، محمد محمود. دار الجيل الجديد: بيروت، ط١٠، (١٤١٣هـ).

التفسير الوسيط. وهبة بن مصطفى الزحيلي. دار الفكر: دمشق، ط١، (١٤٢٢هـ).

تهذيب اللغة. تهذيب اللغة، أبو منصور محمد بن أحمد الأزهري. تحقيق: محمد عوض مرعب، دار إحياء التراث العربي: بيروت، ط١، (٢٠٠١م).

التوقيف على مهمات التعاريف. زين الدين محمد المدعو بعبد الرؤوف بن تاج العارفين بن علي بن زين العابدين المناوي. (ت: ١٠٣١هـ). عالم الكتب: القاهرة، ط١، (١٤١٠هـ -١٩٩٠م).

تيسير اللطيف المنان في خلاصة تفسير القرآن. أبو عبد الله، عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله السعدي. (ت: ١٣٧٦هـ). وزارة الشئون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد: الرياض، ط١، (١٤٢٢هـ).

التيسير في أحاديث التفسير. محمد المكي الناصري. (ت: ١٤١٤هـ). دار الغرب الإسلامي: بيروت، ط١، (١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م).

التيسير في التفسير. أبو حفص نجم الدين عمر بن محمد بن أحمد النسفي. (ت: ٥٣٧هـ). تحقيق: ماهر أديب حبوش، وآخرون، دار اللباب للدراسات وتحقيق التراث: إسطنبول، ط١، (١٤٤٠هـ - ٢٠١٩م).

جامع البيان عن تأويل آية القرآن. أبو جعفر، محمد بن جرير الطبري. (ت: ٣١٠هـ). تحقيق: عبد الله بن عبد المحسن التركي بالتعاون مع مركز البحوث والدراسات الإسلامية بدار هجر، دار هجر: ط١، (١٤٢٢هـ -٢٠٠١م).

الجامع لأحكام القرآن. أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي. تحقيق: أحمد البردوني، وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية: القاهرة، ط٢، (١٣٨٤هـ - ١٩٦٤م).

جمهرة اللغة. أبو بكر محمد بن الحسن بن دريد الأزدي. (ت: ٣٢١هـ). تحقيق: رمزي منير بعلبكي، دار العلم للملايين: بيروت، ط١، (١٩٨٧م).

خلاصة الأفكار شرح مختصر المنار. قاسم بن قطلوبغا الحنفي. (ت: ٨٧٩هـ). تحقيق: حافظ الزاهدي، دار ابن حزم: ط١، (١٤٢٤هـ).

السنن الكبرى. أبو بكر أحمد بن الحسين بن علي البيهقي. (ت: ٤٥٨هـ). تحقيق: محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية: بيروت، ط٣، (١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م).

شرح التلويح على التوضيح. سعد الدين مسعود بن عمر التفتازاني. (ت: ٧٩٣هـ). مكتبة صبيح: مصر، (ب: ط، ب: ت).

شرح مختصر الروضة. سليمان بن عبد القوي الطوفي. (ت: ٧١٦هـ). تحقيق: عبد الله التركي، مؤسسة الرسالة: ط١، (١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م).

صحيح البخاري. أبو عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري. تحقيق: محمد زهير الناصر، دار طوق النجاة: ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي، ط١، (١٤٢٢هـ).

صحيح مسلم. أبو الحسين مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري. (ت: ٢٦١هـ). تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي: بيروت.

فتح القدير. محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني اليمني. (ت: ١٢٥٠هـ). دار ابن كثير، دار الكلم الطيب: دمشق، بيروت، ط١، (١٤١٤هـ).

الفتوحات الربانية على الأذكار النووية. محمد بن علان الصديقي الشافعي الأشعري المكي. (ت: ١٠٥٧ هـ). جمعية النشر والتأليف الأزهرية.

الفروق اللغوية. أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد بن يحيى بن مهران العسكري. (ت: نحو ٣٩٥هـ). تحقيق: بيت الله بيات، وآخرين، مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بـ(قم): ط١، (١٤١٢هـ).

القاموس المحيط. مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروز آبادى. (ت: ٨١٧هـ). تحقيق: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، مؤسسة الرسالة: بيروت، ط٨، (١٤٢٦هـ- ٢٠٠٥م).

لباب التأويل في معاني التنزيل. علاء الدين علي بن محمد بن إبراهيم بن عمر، أبو الحسن، المعروف بالخازن. (ت: ٧٤١هـ). تصحيح: محمد علي شاهين، دار الكتب العلمية: بيروت، ط١، (١٤١٥هـ).

اللباب في علوم الكتاب. أبو حفص سراج الدين عمر بن علي بن عادل الحنبلي الدمشقي. (ت: ٧٧٥هـ). تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود وعلي محمد معوض، دار الكتب العلمية: بيروت، ط١، (١٤١٩هـ - ١٩٩٨م).

اللباب في علوم الكتاب. أبو حفص سراج الدين عمر بن علي بن عادل الحنبلي الدمشقي النعماني. (ت: ٧٧٥هـ). تحقيق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود والشيخ علي محمد معوض، دار الكتب العلمية: بيروت، ط١، (١٤١٩هـ -١٩٩٨م).

لسان العرب. محمد بن مكرم بن منظور الإفريقي المصري. (ت:٧١١هـ). دار صادر: بيروت، ط٣، (١٤١٤هـ).

لطائف الإشارات. عبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك القشيري. (ت: ٤٦٥هـ). تحقيق: إبراهيم البسيوني، الهيئة المصرية العامة للكتاب: مصر، ط٣.

المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز. أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن تمام بن عطية الأندلسي المحاربي. (ت: ٥٤٢هـ). تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد، دار الكتب العلمية: بيروت، ط١، (١٤٢٢هـ).

المحكم والمحيط الأعظم. علي بن إسماعيل، ابن سيده المرسي. (ت: ٤٥٨هـ). تحقيق: عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية: بيروت، ط١، (١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م).

مختار الصحاح. محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الحنفي الرازي. (ت: ٦٦٦هـ). تحقيق: يوسف الشيخ، المكتبة العصرية - الدار النموذجية: بيروت، صيدا، ط٥، (١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م).

المختصر في تفسير القرآن الكريم. تصنيف: جماعة من علماء التفسير. مركز تفسير للدراسات القرآنية: ط٣، (١٤٣٦هـ).

معالم التنزيل في تفسير القرآن. محيي السنة، أبو محمد الحسين بن مسعود البغوي. (ت: ٥١٠هـ). تحقيق: محمد عبد الله النمر، وآخرين، دار طيبة للنشر والتوزيع: ط٤، (١٤١٧هـ - ١٩٩٧م).

معاني القرآن وإعرابه. إبراهيم بن السري بن سهل، أبو إسحاق الزجاج. (ت: ٣١١هـ). تحقيق: عبد الجليل عبده شلبي، عالم الكتب: بيروت، ط١، (١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م).

المعجم الاشتقاقي المؤصل لألفاظ القرآن الكريم. محمد حسن حسن جبل. مكتبة الآداب: القاهرة، ط١، (٢٠١٠م).

معجم اللغة العربية المعاصرة. أحمد مختار عبد الحميد عمر. (ت ١٤٢٤هـ). بمساعدة فريق عمل، عالم الكتب: ط١، (١٤٢٩هـ - ٢٠٠٨م).

المعجم الوسيط. إبراهيم مصطفى، وآخرون، المكتبة الإسلامية إسطنبول: تركيا، ط٢، وطبعة دار الدعوة.

مفاتيح الغيب. أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي، الملقب بفخر الدين الرازي. (ت: ٦٠٦هـ). دار إحياء التراث العربي: بيروت، ط٣، (١٤٢٠هـ).

المفردات في غريب القرآن. في غريب القرآن، الحسين بن محمد الراغب الأصفهاني. (ت: ٥٠٢هـ). تحقيق: صفوان الداودي، دار القلم، الدار الشامية: دمشق، بيروت، ط١، (١٤١٢هـ).

مقاييس اللغة. أبو الحسين، أحمد بن فارس بن زكريا القزويني الرازي. (ت: ٣٩٥هـ). تحقيق: عبد السلام هارون، دار الفكر: (١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م).

منهج الصحابة في دعوة المشركين من غير أهل الكتاب. عبد العزيز بن محمد بن سعود الكبير. دار الرسالة العالمية: بيروت، ط١، (١٤٤٢هـ - ٢٠٢١م).

الموسوعة الفقهية الكويتية. وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، الكويت، دار السلاسل: الكويت، ط٢، (١٤٠٤هـ إلى ١٤٢٧هـ).

نظرية السبب في القانون المدني. محمد علي عبده. منشورات الحلبي، بيروت، ط١، (٢٠٠٤م).